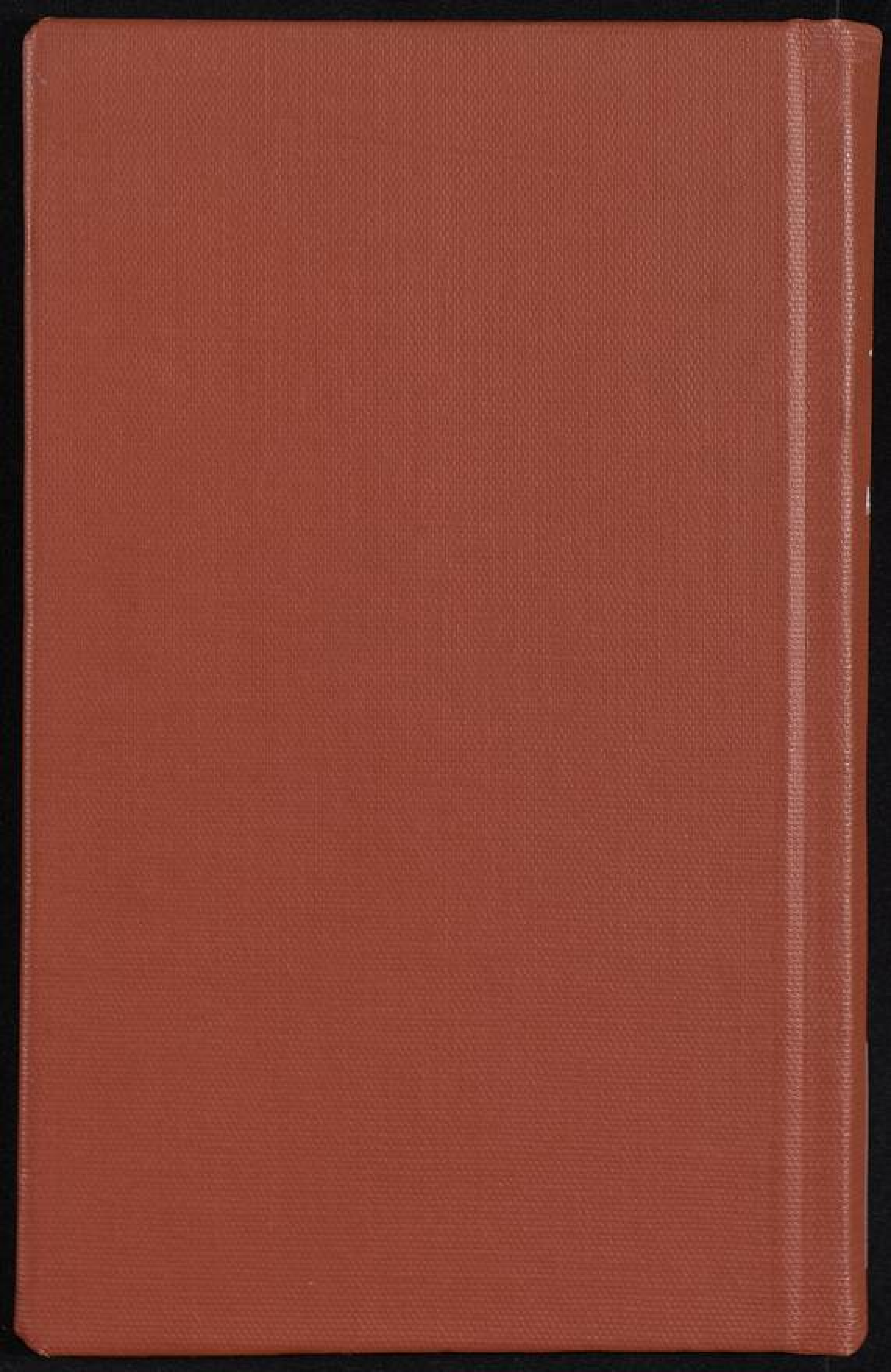
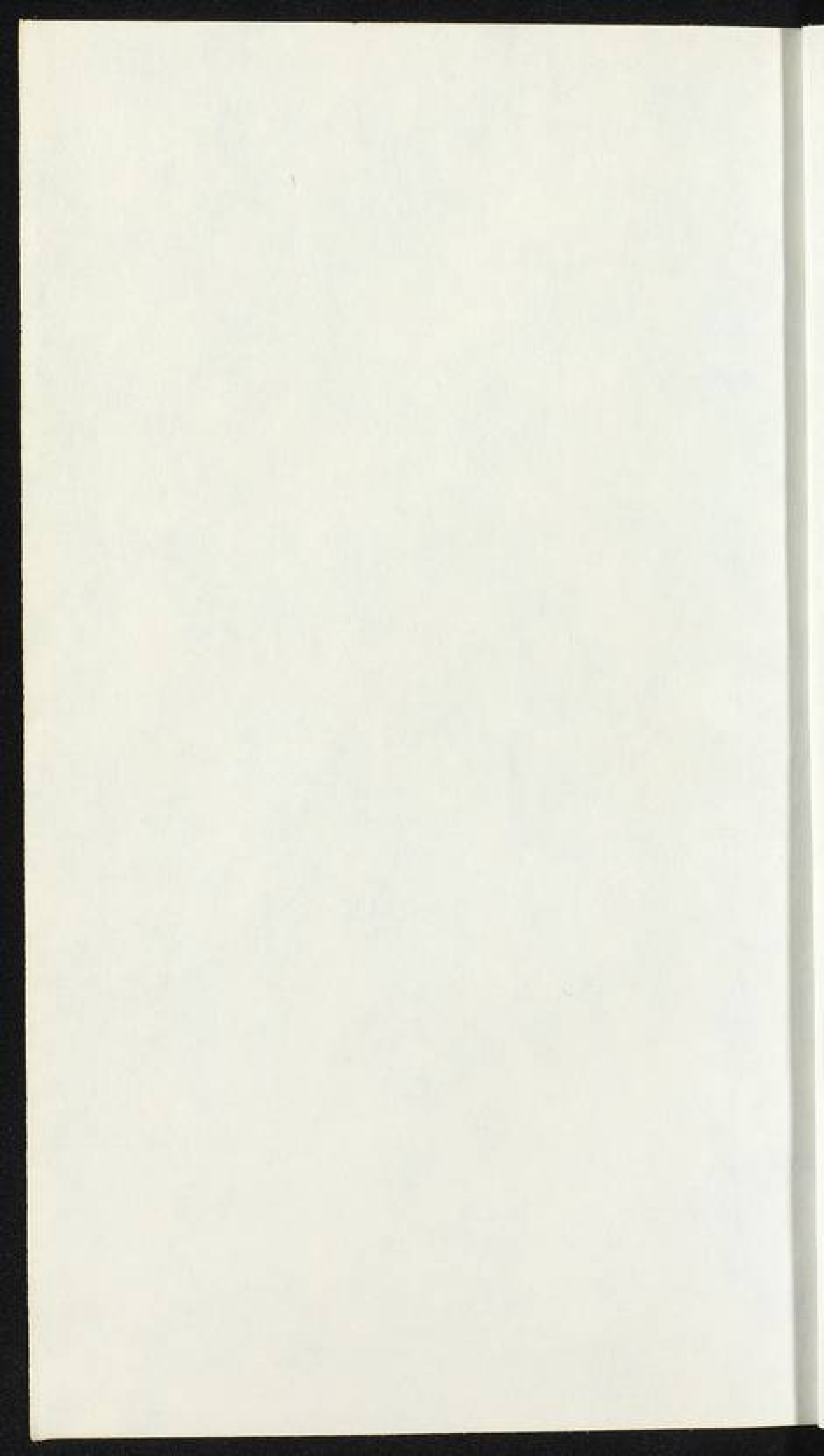


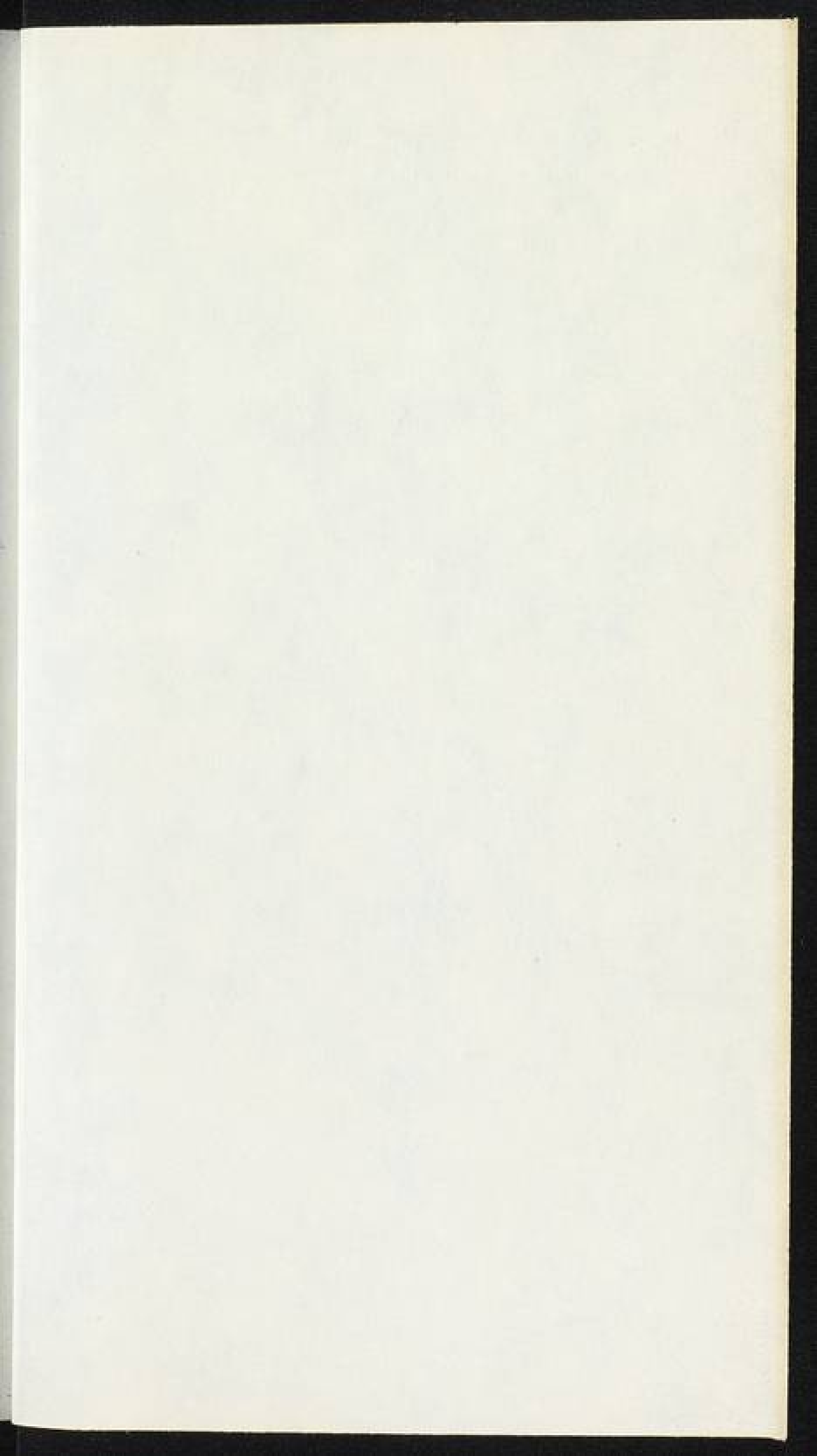
DATE	ISSUED TO
AG 12 '54	Bindery
OCT 11 '54	S Y
MAY 20 '60	S Y HUSSEINI G
OCT 23 '79	PRESERVATION PROJECT/PHOTO. ✓
MAY 21 '80	PRESERVATION PROJECT

DATE ISSUED	DATE DUE	DATE ISSUED	DATE DUE


Princeton University Library
32101 073834432







الرسوم لألفريد بخاش

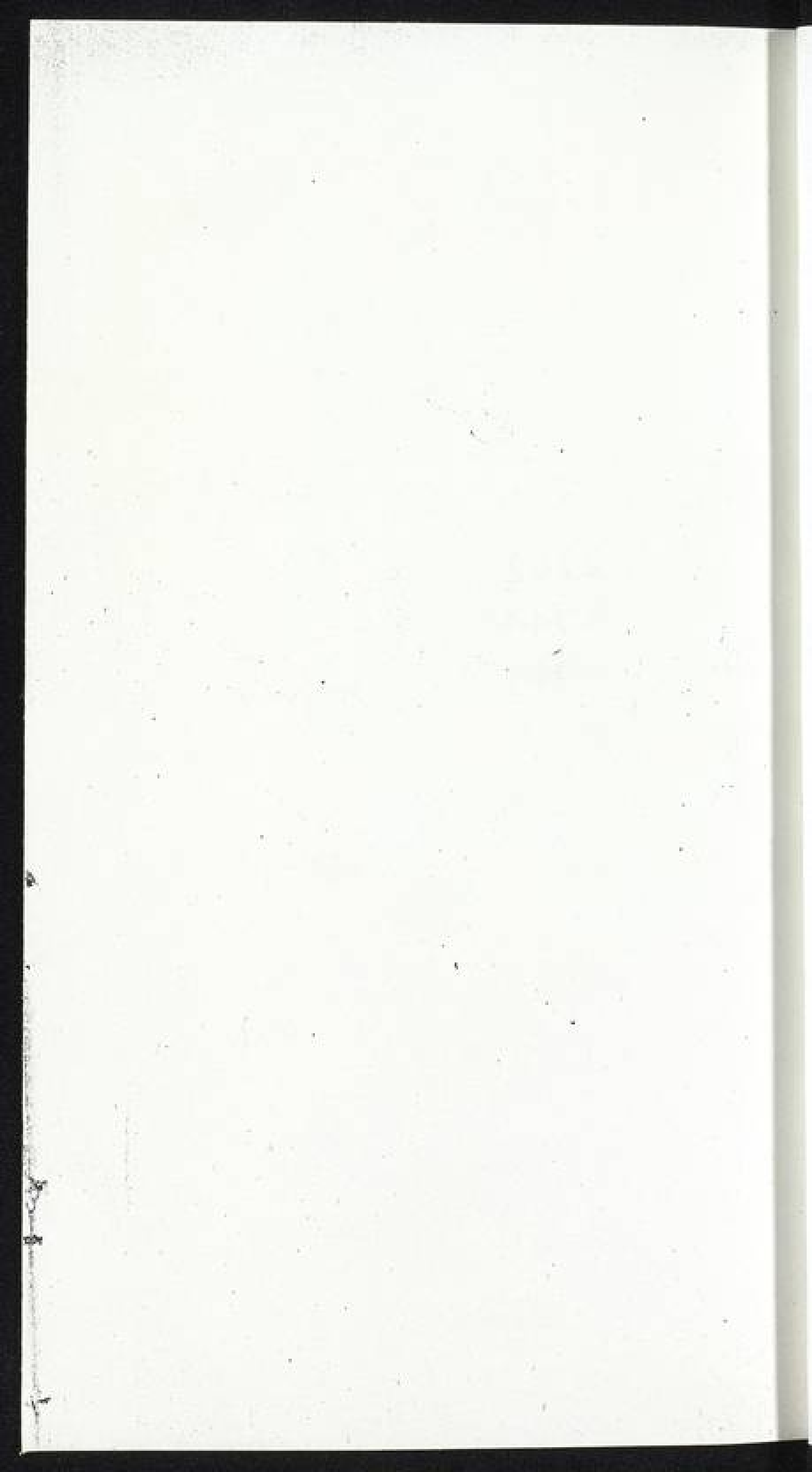
الخط لفهد العنداري — الحفر لصلاح اللبان

من

عمر أبو ريشه

شعر

دار مجلة الاديب



حسبي أن أرد هاتِ من قلبي
صلاةً ، ومن شفاهي أغاني



شوق

لمن تعصر الروح يا شـــاعر

أمـا لضــــلال المنى آخرُ

ألاحبَّ ؟ أين التفاتُ الفتون ،
اذا هدّف الأمل العاثرُ

أللهو ؟ كم دمية صغتَها
ومزّقها ظفرك الكاسرُ

ألمجد ؟ ماذا يحسّ القتيلُ
اذا ازورّ او بسمَ العابرُ

أللخلد ؟ كيف تردّ الذئابَ
وقد عضّها جوعها الكافرُ

رويدك لا تسفحنّ الخيالَ
ببيداءَ ، ليس بها سامرُ

اما يُرقصُ الكون في صمته
كما يُرقص الحيّة الساحرُ

دعِ الحلمَ ، يخفق في ناظريك ،
فموعده غدك الساخر !

١٩٣٦

طلل

مر بصرح روماني قديم ، لا يستطيع غير الطلل أن يتحدث عن ماضيه ، واسترعى انتباهه خلوه من الشوك وتألق ترابه النظيف . فقال في نفسه ان الموت يقف أمام ضحيته ، مجروح الكبرياء ، لانه لا يستطيع أن يفتك بها أكثر مما فتك .

قفي قدمي ! إن هذا المكان ،
يغيب بـه المرء عن حسه

رمالٌ ، وانقاض صرحٍ هوت
أعالبـه تبحث عن أسه

أقلّبُ طرفي بـه ذاهــلا
وأسأل يومي عن أمسه

أكانت تسيل عليه الحياة ،
وتغفو الجفون على أنسه

وتشدو البلابل في سعده
وتجري المقادير في نحسه

أأستنطق الصخر ، عن ناحتيه ،
وأستنهض الميت من رمسه

حوافر خيل الزمان المشتّ
تكاد تحدث عن بؤسه !

فما يرضع الشوك من صدره
ولا ينعب البوم في رأسه

وتلك المناكب مذعورة
تريد التفلّت من حبسه

لقد تعبتْ منه كفّ الدمار ،
وباتت تخاف أذى لمسه

هنا ينفضُ الوهمُ اشباحه
وينتحر الموتُ في يأسه

١٩٣٧

سر السراب

رأى الشاعر في الصحراء ماء يتموج من بعيد ، فقيل له انـــه السراب ، فتأمله طويلا ، وأحس بالرمل الملتهب ظمأ تحت اشعة الشمس ينام ليحلم بالماء ، وما هذا الذي يسمونه سراباً الا اطياف حلمه اللذيذ ، وكان الشاعر على حال عاطفية قلقـــة فوجد في احساسه هذا منفذاً لها .

كم جئت أحمل من جراحات الهوى
نجوى ، يردّدهـــا الضمير ترنّما

سالت مع الامل الشهيّ لترتمي
في مسمعيك ، فما غمزتِ لها فما

فخنقتها في خاطري! فتساقطتْ ،
في أدمعي ، فشربتُها متلعثما

ورجعت أدراجي أصيد من المنى
حلماً ، أنام بأفقـه متوهماً !

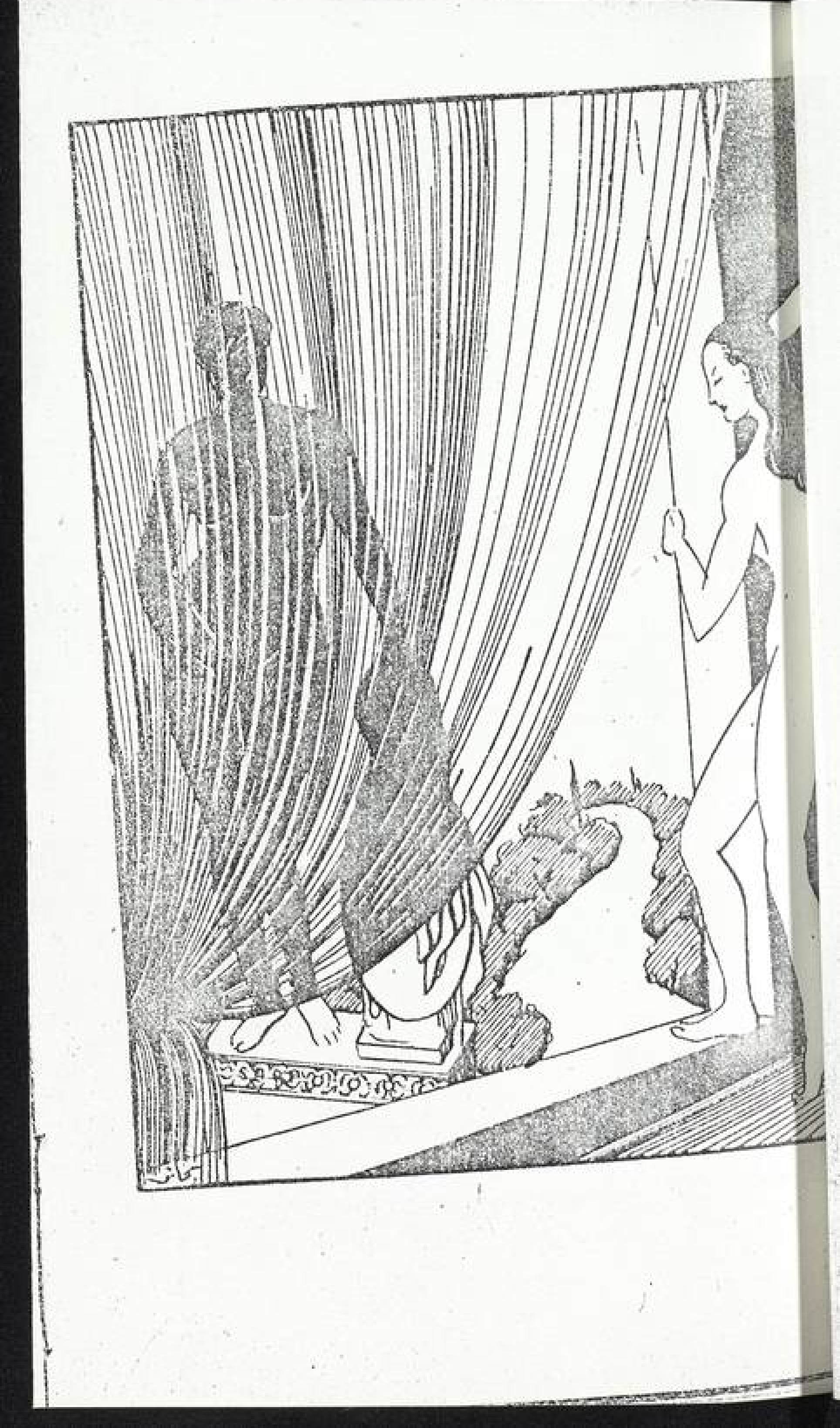
أختاه ! قد أزف النوى فتنعّمي
بعدي ، فان الحبّ لن يتكلما .

لا تحسبيني سالياً ، إن تلمحي
في ناظري ، هذا الذهول المبهما

إن تهتكي سرّ السراب وجدته
حلم الرمال الماجعات على الظّما !!

١٩٣٧





امرأة وتمثال

عرفها المثل الاعلى للجمال ، والتقى بها بعد عشر
سنوات ، فاذا ذاك الجمال أثر بعد عين ،
فتألم ، ولما عاد الى بيتـــه كانت صورة
تمثال فينوس أول ما وقع طرفه عليه .

حسناء ، هـذي دميـــةٌ
مَنحوتـــةٌ من مَرمرِ

طلعتْ على الدنيا

طلوع الساخر المستهتر

وَسَرَتْ الى حرم الخلود

على رقاب الاعصر !

***

عريانةٌ سكرَ الخيالُ

بعريها المتكبر

ابداً ممتعةٌ بينبوع

الصبا المتفجّر

نرنو اليها في وجوم

الحالم المستفسر

والطرفُ بين مُنقّلٍ

في سحرها ومُسمّرِ

وتشي بها ، ابداع ناحتها ،

الجمال العبقري

ومضى ، وبنت رؤاه

لم تكبر ، ولم تتغيّر

***

حسناء ، ما اقسى فجاآت

الزمان الأزور

أخشى تموت رؤاي إن

تتغيّري ... فتحجّري !!

١٩٤٦

البرعم الأخضر

سمعته ينشد قصيدته « النعش الابيض » فاعجبت به . وكان ينظر اليها كما ينظر الى الطفل الساذج .

أفقتِ مع الحلم المسفر
على نغم شارد مسكر

تدفّق يسكب في قلبك
الطريّ ربيعَ الحياة الطري

فألفيتِ دنياك غير التي
درجتِ عليها ، ولم تشعري

مفاتن ريّا الجمال الحيي
مجنّحة بالهوى المبكر !

وأنتِ عليها انفلاتُ الحبيس
من الطيب في البرعم الاخضر !!

رويدك لا تومي بالرؤى
خيالك يا عفّة المئزر

أنا حفنةٌ من رماد المنى
على مجمر الزمن الأزور

هويتك في غُصة المؤمنين
الى جرعة من فم الكوثر !

وفوق جفوني عصابُ الذهول
فلم أتبصرْ ولم أبصر !

ظلمتُك ظلمَ انهيار الخيال
على يقظة الشاعر العبقري

دعيني وحيداً أزجي الخطى
على مخصب الوهم والمقفر

١٩٤٣

من أنت

من أنتِ ؟ كيف طلعتِ
في دنياي ؟ ما أبصرتِ فيّا

12

في مقلتيك أرى الحياة
تفيض ينبوعاً سخيّا

وأرى الوجود تلفّتاً
سمحاً ، وايماءً شهيّاً ...

ألمتِ أحلامَ الصبا
وخلعتِ أكرمها عليّا ؟

مهلاً ، فداكِ الوهمُ لا
ترمي بعِزِّكِ الثريّا !

أنا في جديب العمر أنثرُ
ما تبقّى في يديّا !

عودي الى دنياكِ ،
واجني زهرها غضّاً زكيا

يكفيك مني ، أن تكوني
في فمي لحناً شقيّا !

١٩٤٦.

في موسم الورد

كأني بالمرأة تحب من أنفها لا من عينيهـا ...

هنـــا ! في موسم الوردِ
تلاقينـــا بــلا وعـــدِ

وسرنا في جـــلال الصمت
فوق مناكب الخـــلد

وفي ألحاظنـــا جوعٌ
على الحرمان يستجدي !!

وأهوى جيدُكِ الريّانُ
متكئاً عـــلى زنـدي

وشَعرك مـــائج ، والطيبُ
يفضح فجوة النهـــد

13

وكنّا غفوةً خرساء
بين الخدِّ والخدِّ !

***

مُنى قلبي ، أرى قلبَكْ
لا يبقى على عهدِ

أسائلُ عنكَ أحلامي
وأسكتها عن الردِّ

أردتِ ، فنلتِ ، ما أمّلتِ ،
من عزّي ومن مجدي

فأنتِ اليوم ألحاني
وألحانُ الدّنى بعدي !

فما أقصرهُ حبّاً
تلاشى وهو في المهدِ

فهذا الوردُ ما ينفكُّ
فوق غصونهِ المُلْدِ

ولم أبرح ، هنا ، في ظلِّ
هذا الملتقى ، وحدي !

١٩٤٦

ليلة

كان يعلم انها اول وآخر ليلة ....

حسناء ، هذا ليلي الممتعُ
فلتطوه في شوقها الأضلعُ

ما كنت أستنزف وجدي على
إغرائه ، لو أنه يوجع

فلتخفق النعمى ! على ضمة
لا أرتوي منها ولا أشبع

وليسكر النجم على نفحةٍ
بنفثها من طيبك المضجعُ

14

أعطيتنى أكرم ما صاغه
وهمٌ ، وما غنى به مطمع

فما لقلبي في غواياته
يرنو الى جرحي ولا يخشع

ما اعتاد ان أروي له غلةً
الا اذا كان لي المنبع !

***

حسناء ! هذي كبرياء الهوى
أهوت على أشلائه تدمع

لن اسأل الكأسَ على راحتي
من يا ترى بعدي بها يجرع

حسبي من الزنبق أن لا أرى
من أي شلوٍ في الثرى يرضع

فاستمهلي الليل ، فلي في غدٍ
ما يُبعد الظلّ الذي أتبع

١٩٤٦

عشاق

عرف ضحاياها فلم يتعظ ، وهذا السكير المعدم الذي
يمر بها ، كان من عشاقها المترفين .

دنا منّا يجرّ خُطاه
بين التّسكر والوهن

15

وفي برديه ما يُشقي
وفي عينيه ما يُضني

فملتِ عليَّ باردةَ الجبين ،
غضيضةَ الجفنِ

وصدرُكِ حملتنا قلقٍ
تنهّدتا على أمن !

فسمّر في لحظيه
وقهقه ضاحكاً مني

وسار ... كأنما يحمل
نعش العمرِ للدفنِ

***

مناي ! دعي لصحو غدي
بقايا الخمر في دَنيّ

١٩٤٦

امرأة

منيـــة النفس تناسي سيرةً
تركتْ في مسمع البغي صداها

واسدلي الستر على الماضي الذي
أخـذت من لهوه نفسي منـاها

ذكرياتي كلها أغفت فلا
توقظيهـا من دياجير كراها !

هي أهواء شبــاب مترف
بلغ الطهر على رجس ُخطاها !!

كلما جاست رؤاها مضجعي
نفر النوم ، فـألوى برؤاهـــا

١٤

أنت فتّحتِ عيوني للسنـــا
بعدما فجّرت في روحي هداها

أنت جنّحتِ أمـــانيّ التي
حلقت تمزج في أقصى سماهـا

كنت كالملاح في لجتـــه
كسرت مجذافه الريح، فتاها

سدل الليـــل عليـه سجفه
وجلا عن مقلة الذعر عمـــاها

فأصابتـــه يـد من رحمـــة
لطمت من شامخ الموج الجباها

وانتهى زورقـــه الواهي الى
شاطىء ألقت به النعمى عصاها !

***

فتعالي نلتمس دنيـا من الحب
لم يبلغ سرى الوهم مداها

كملاكين اذا ما التقيـــا
ما تعـدّت ثورةُ الشوق الشفاها

فنعبَّ الكأس رَيّا بالمـنى
ونبقّي في فم الطهر شذاها !

***

منية النفس ، أرى صمتك ما
ينثني يطعن في نفسي رجاهـا ؟

اتركي الشكّ ... ففي قبضته
مدية أقتل طعناً من سواهـا !

أنظري فيّ ملياً ... واقرأي
في عيوني آية شاع نهاهـا !

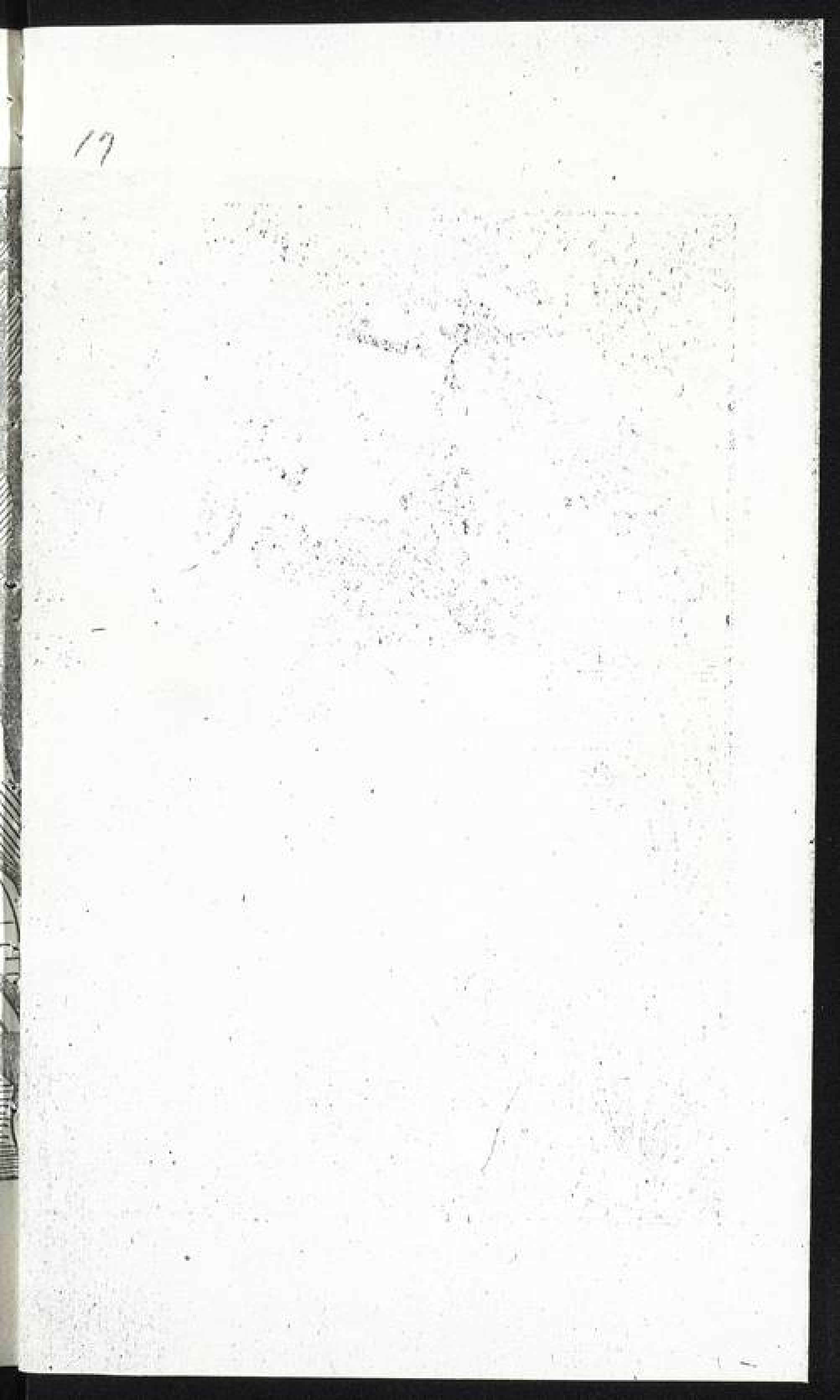
ان حبي لك لم يـترك الى
شهوة الاثم هشيماً للظاها

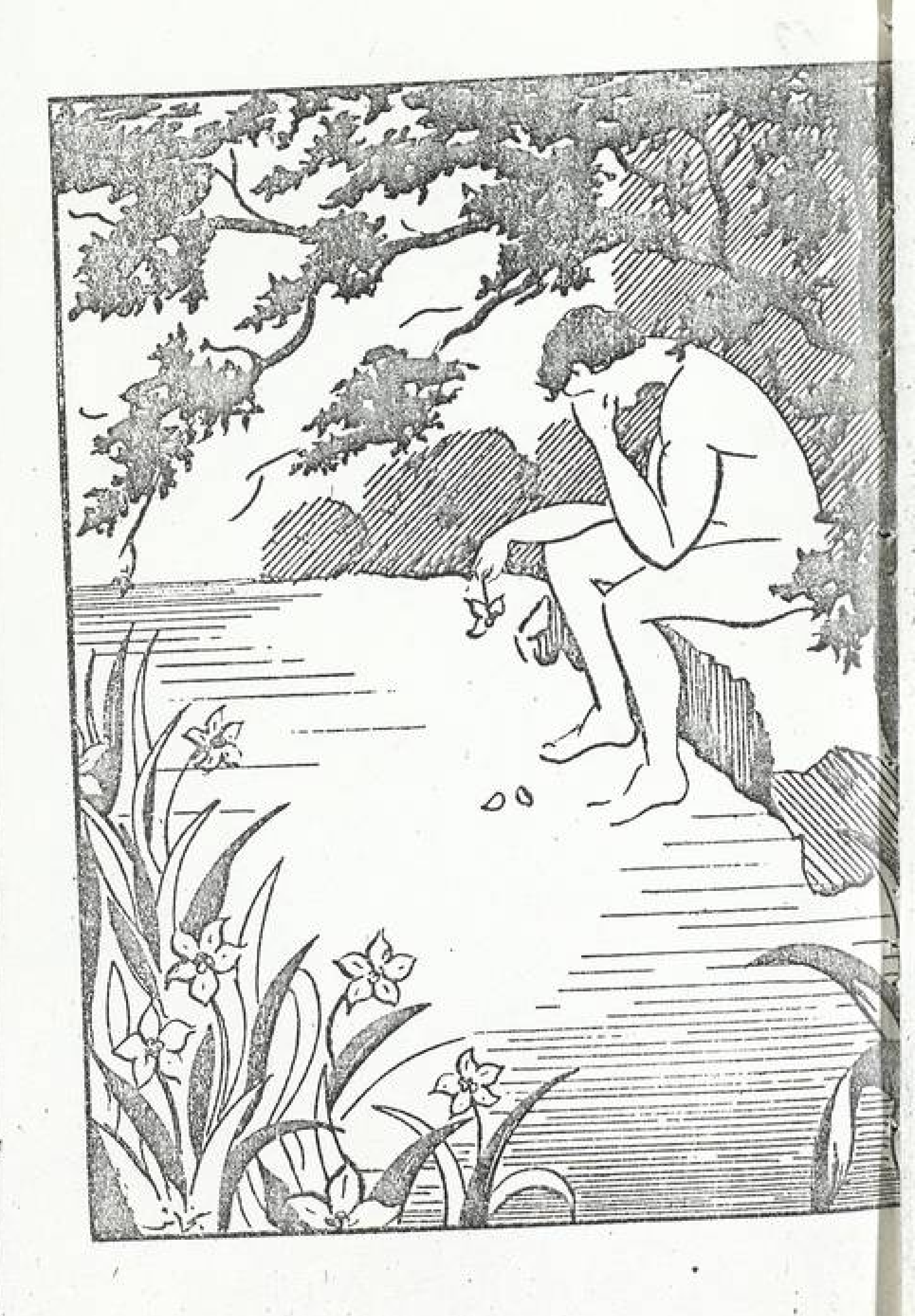
انني كفنت اشـلاء الخنا
وغسلت الكف من عار دماها !!

***

طرفتْ ... والشوقُ في مقلتها
كاد أن يفضحَ احلامَ صباها !!!

١٩٣٦





زنبقة

تعود ان يقطف الزهر ، ليقـدمه إلى احبابه .

ألفيتها مخضلةً في روضهـا
والفجر بين ذيوله يطويهـا

حتى اذا انتفضتْ عليه ، تجمعت
أنفاسه ، وتجمدت في فيها

وتمايلتْ تيهاً ، بعرس فتونها
وزهتْ وعرسُ فتونها يبكيها

والطيب مسفوحٌ على جنباتها
يهمي على روحي بما يشجيها

فلويتُ في شبه الذهول أناملي
وقطفتها . لهفي لمن أهديها !!

١٩٤٧

مصرع الفنان

نام عن كأسه وعن أحبابه
قبل أن ينقضي نهار شبابه

نام عن سكرة الحياة وقد جف
شراب السلوان في أكوابه

بسمات الرضى على شفتيه
وشتات الرؤى على أهدابه

وبنات الغروب تسكب في أذنيه
موجات عوده وربابه

لابسات حمر المآزر مرت
ريشة الأفق فوقها بخضابه

١٩

راقصات في حلقة من عباب

الهو .. والرقص موجة من عبابه

رقصات المطهمات من الخيـــل

بعرس يموج في تصخابـه

يا بنات الغروب قد نفض الليل

على الكون حالكات نقابـه

احملي الراحل الغريب وسيري

بالزغاريد ســـلوة لاغترابه

وادخلي هيكل الفنون وأبقيـه

سراجـــاً يضيء في محرابه

***

لفتة نحو أمـه أيها الشاعر العلم

إن في سفر عمره صفحات من الألم

***

ملّ دنياه بعد ما سئم السير

عليها وضـاق في باوائـــه

مورد الفن مظلم لم يصوب
فوقه الشرق مشعلاً من ضيائه

سار فيه ... وظلمة اليأس تطفي
تحت أنفاسها شموع رجائه

والصخور الجسام نائئة الأنياب
تدمي أقدامه وهو تائه

ورؤوس الأشواك ترتد عنه
وعليها ممزق من ردائه

والأفاعي تفح من كل صوب
نازعات الى امتصاص دمائه

والأماني أمام عينيه
أطياف سراب تموج في بيدائه

فحنى رأسه الكئيب وألقى
بعصاه وضج في بأسائه

وانثنى عائداً يشيع حلماً
يتلاشى من مقلتي نعمائه

٢٥

عودة الثاكل الحزين وقد نفّض

كفيه من ثوى أبنائه

***

ليس يرجو من الورى بسمة تغسل السقم

أحزم الناس عاقل لمس الجرح وابتسم

***

ضاق في وجهه الفضاء وما في

قوسه نبلة لصون كيانه

رعشات الذهول في مقلتيه

وعتاب الزمان فوق لسانه

فحوته في صدرها الحانة الحمراء

خوفاً عليه من أحزانه

فتغنى بعطفها وحباها

بالشهي الفتان من ألحانه

وهوى ينحر الكآبة نحراً

بين نعمى أوتاره وحسانه

وانبرى يكرع المدامة حتى
هرئت لثناه عن أسنانه

ويعب الدخان حتى استحالت
رئتاه مجامراً لدخانه

خالعاً معطف الوقار مكباً
فوق شهواته طليق عنانه

لا تلوموه في ضلال خطاه
رب طهر... ألرجس من أركانه

***

جعل اللهو سلوة تحمل السم في الدسم
لا يبالي صريعها عبس الكون أم بسم

***

يا لها سكرة لقد أطلقته
من قيود الملا ومن أتراحه

غسلت عن فؤاده ألم العيش
وألوت بباقيات كفاحه

وأرته طيوف آمـــاله الغر
عذارى يطفن فوق وشاحه

حاملات على سواعدها البيض
أكاليل فوزه ونجاحــه

فغفا هاتفاً بسكرته الموجاء
والروح يمعن في رواحــه

قبل أن يطلع الصباح عليه
ويرى الحلم كاذباً في صباحه

هكذا الوهم للمخبط في اليأس
ضمـــاد وبلسم لجراحه ...

زحف الفجر باتئاد كنسر
قصت الريح ريشه من جناحــه

وأتى جثـــة فصب عليهـــا
دفقـــات من عطفه وسماحه

والندى لم يزل عليها دموعـاً
سلن من زفرة الدجي ونواحه

***

هكذا لاح واختفى في خضم من الظلم
تاركاً فوق أرضه ضجر الروح والسأم

***

ليت شعري وقد توارى وشيكا
أطروب أم بائس في بعاده

ما أظن الآلام في عالم الروح
تزجى شراكها لاصطياده

قد كفاه ما ذاق في دنياه
من لئام الورى ومن حساده

أهملت شأنه البلاد وصمت
أذنيها عن دمدمات فؤاده

فتحت صدرها لكل دخيل
فاغر الشدق واثب في عناده

وسقته كأس المناه دهاقاً
وفتى الفن ظامىء في بلاده

لم يكن ذاك عن ذهول ولكن
يرغب المر في دما أولاده

إنما لم تزل رفاق لياليه
كراماً على عهود وداده

تجمع الخمر شملهم فيخلون
فراغ اتكائه واستناده

كلما مر ذكره قلبوا الكأس
على الأرض حسرة لافتقاده

***

صفحة الحب والهوى والأهازيج والنغم
قد طوتها يد الردى فهي في حجرة العدم

***

لست أنسى الناقوس لما نعاه
والمصلى يموج في أحباره

ورؤوس الرجال مطرقة والحزن
ساج مسربل بوقاره

والمناديل في أكف الغواني
تشرب الدمع من مقر انفجاره

حملوه في نعشه الأبيض اللون
وساروا كتائبه في قفاره

وحدوه بكل لحن شجي
سرقته الآذان من أسراره

إيه ألحانه وأنت حنين
سال من روحه على أوتاره

رافقيه في أفقه فهو ظمآن
بعيد العهود عن قيثاره

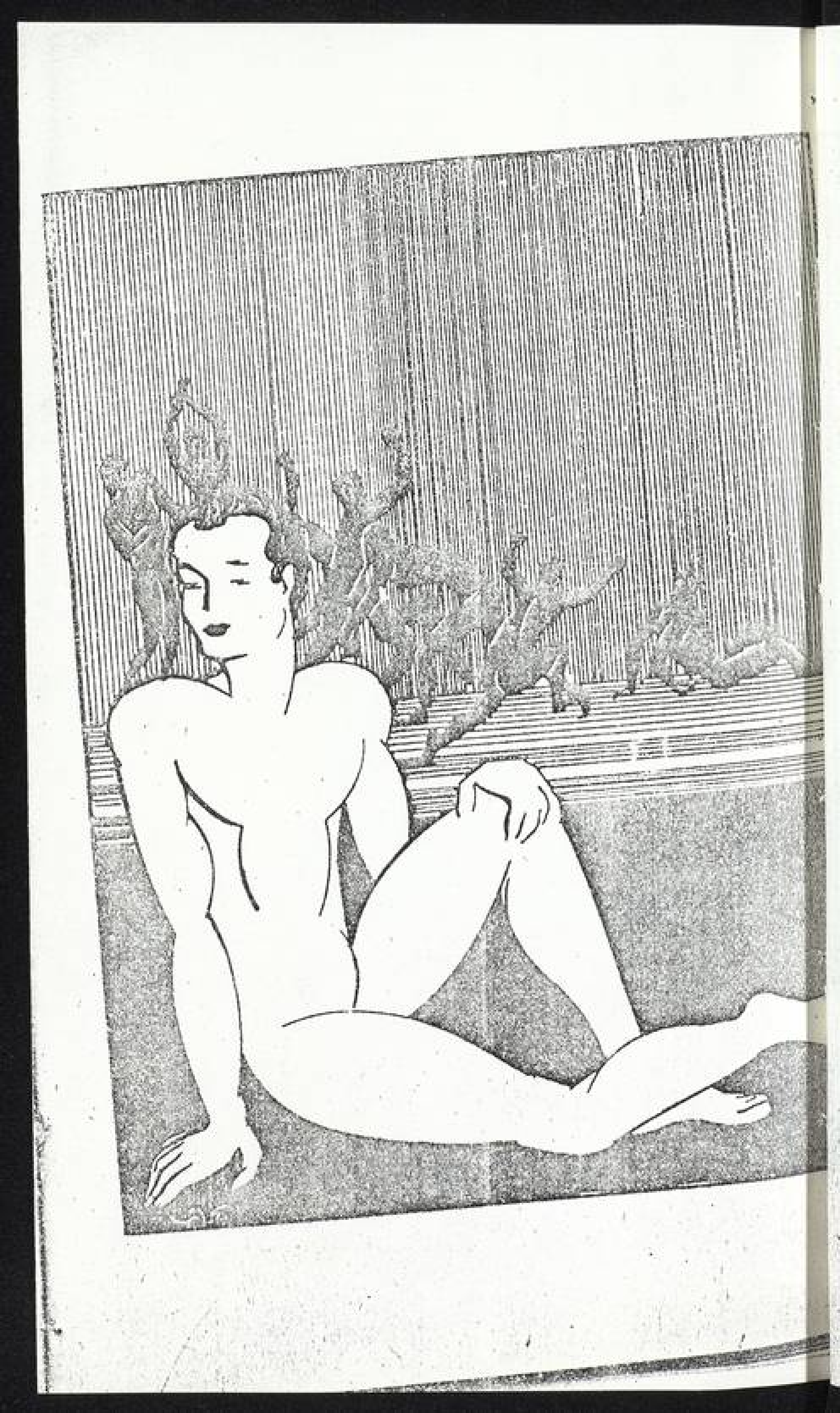
رب ورقاء في الفضا الرحب لما
زقزق الفرخ شاكياً من أواره

أطبقت فوق صدرها من جناحيها
وأهوت كالنجم عند انهياره

وأكبت عليه تمنحه العطف
ومنقارها على منقاره

١٩٣٦





24

دنيا

سيري كما شاء التجنّي
واشفي غليلك واطمئني

ما أنتِ يادنيا ، وما
أبقيتِ للاحلام مني

نطوينَ بالاغراء أيامي
وأطويها تمنّي

أنا في ندبك أسأل
الخمار عن كأسي ودَني

غنّيت حبّك ، وانتشيتُ
وكم فتىً بعدي يغني

واصيحة الحلم الاخيرِ
إذا تفتّح عنه جفني !

١٩٤٣

25

وداع

كانت تخجل كلما مر بها ، فأوقفها مرة ،
ورد اليهـا رسائلها ...

قفي ! لا تخجـلي مني ،
فمـا أشقاكِ أشقـاني

كلانا مرّ بالنعمى !
مرورَ المتعب الواني

وغادرهـا كومض الشوقِ
في أحـداق سكران !

***

قفي ! لن تسمعي مـني
عتابَ المدنف العـاني

فبعد اليوم لن أسأل
عن كأسي وندماني

خذي ، ما سطّرت كفاكِ
من وجد وأشجان

صحائف طالما هزّتْ
بوحي منكِ ألحاني

خلعت بها على قدميك
حلم العالم الفاني !

***

لِننسَ الأمس ، ولنسدلْ
عليه ذيلَ نسيان

فان أبصرتني ، ابتسمي
وحييني بتحنان

وسيري سيرَ حالمةٍ
وقولي ... كان يهواني !

١٩٤٦

26

نجمة

كان يسير في الليل وحيداً كئيباً يفكر في أبيه
وأحبابه الموتى فسمع كأن صوتاً من
بعيد يناديه فالتفت مضطربا فلم يلمح سوى
نجمة واحدة تسطع في الأفق .

من يناديني ؟ وقد أنكرني
في دروب العمر من يعرفني !

أغريبٌ ؟ ملّ في غربته
عبثَ الوهم ، ولهوَ الزمنِ

أم شقيٌ نسي الكبرُ على
شفتيه ، بسماتِ المؤمن

***

من يناديـــني ؟ وأعراس الصّبا

لم تدع في الكأس ما يسكرني

أبتولٌ ؟ سلّها من خـــدرها

شوقها المخضوب بالحلم الهـــني

أم هلوكٌ ، ألِفَتْ روضتُهـــا

شفة الساقي وكفَّ المجتني !

***

من يناديـــني؟ وسمّارُ الدّجى

كحّلتْ أجفـــانهم بالوسن

أحبيبٌ ؟ أيّ أحبـــابي تُرى

من كوى الخلد سرى يؤنسني ...

ما لأصـــداء المنادي خفقَتْ

وتلاشى وقعهـــا في أذني !

نجمةٌ ضاعت عـــلى البعد ، فيا

ذيلها الوضاء ، كن لي كفني !

١٩٤٥

27

حنين

سمعها تغني أبياتاً له لا ينطبق ما فيها من مرح
على ما فيه من ألم .

لا تغنّي فان حشرجةَ الميت
وجهشَ النعاة في مسمعيا

أتغنين ذكرياتي وكانت
كوثراً في فم الزمان شهيا

يوم أحسو من راحة الوحي خمري
وأصوغُ الحياة شعراً نديا

وأرى توبة الزمان بعينيك
فأنسى ما قد أساء إليا !!.

أسمعيني على أنين الأماني
من عثار الشباب لحناً شجيا !!!

أوجوم ؟ فيم الوجوم مُنى النفس
وفيم الذهول يكسو المحيا ؟

أترامت عليك أشباحُ ذكرى
تترك الحبّ ، يا هلوكُ ، حييّا ؟؟

حوّلي ناظريك عني ... فما أسطيع
أجاور سراً هناك خفيا !

ويح نفسي ، ما للعواصف تخبو
ويفتّ الخذلانُ في ساعديا ؟؟

28

انا طفل الحياة يا ضـــلة الروح

فعفواً إن جئت أمراً فـريا ؟

قبّليني ! فقـــد شعرتُ بروحي

وثبتْ وارتمت عـــلى شفتيا !!!

لستِ أنتِ التي أضمك بل دنيـا

فتونٍ وعـــالماً علويا !!!

أتبسمتِ ؟ بعـــد صمتٍ رهيب

كان يدوي في مسمعيّ دويا ??

خدّريني بنغمةٍ تقتل اليـــأس

وتهمي بالمسكرات عليـــّا ؟

حسناً تفعلين . . . غني ، أعيدي .

إخفضي الصوت ، تمتميه إليّـا

أتركيني عـــلى ذراعك أغفو

وأذيبي الأصـــداء شيأً فشيـا !!

١٩٣٦

بلبل

قال الجاحظ :

البلبل لا ينسل في قفص

حلم تخلى عنه في رغده
هل يقدر النوح على ردّه

لو يعلم الصياد ما صيده
لم يجعل البلبل في صيده

***

ألفيته بنثر ألحانه
كأنما ينثر من كبده

وإلفه المشفق، ظلّ له،
باقٍ، كما كان، على عهده

مُدلّهٌ الفتنات مستوحشٌ
طاوٍ جناحيه على وجده

29

كم أطبقت منقارَه غصةٌ

فمدّه ينقر في قيده !!

أسقمه العيش على وفره

لما رآه ليس من كده

وأين مخضلّ الجنى حوله

من زنبق الروض ومن ورده

***

طوى المنى، نوحاً، ولكنما

لم يغنه النوحُ ولم يجده

فعافَ دنياه ولم يتخذ

عشاً، ولم يحمل سوى زهده

كأنه من طول ما مضه

من عبث الدهر ومن كيده

أبى عليه الكبرُ أن يورث

الأفراخ ذلّ القيد من بعده !!

١٩٤٥

الروضة الجائعة

أفي هـذه الليـلة المقمره
أهيم بأرجائـك المقفره
عرفت الذهول الذي قادني
إليـكِ فأحببت أن أنكره

***

لك الخير يا روضتي ! لم أجد
سواكِ ! مواسية ، خـيّره
أتيت لأنسى ... فما لي أرى
الهواجس كالسحب الممطره
ألا أين عرس الجمال السنيّ
على ذيل يقظتـك المبكره
وللغصن ترنيمـة العندليب
وللجو تسبيحـة القبره

30

وأين بساط الندامى على
مطارفك الغضة المزهره

ورقص القيان ، وخفق الصنوج ،
وعربدة الأكؤس المسكره

تلوّيتِ فوق زنود الخريف
على وهج لذته المنكره

ولما تعريتِ لم تسمعي
سوى ضحكة منه مستهتره

فأصبحت خلف جبين الحياة
وأحلامها فكرةً مضمره

***

أأقلقتُ أحلامك الهاجعات
على سُرُرِ النعمة المدبره

رويدك لا تجرحي صمتك الرهيب
ولا تهتكي مئزره

فــاني أحس بــه همهاتِ
الوحوشِ وخشخشةَ المقبره

فــذا شبحٌ فاغرٌ شدقــه
وذا شبحٌ شاحــذ خنجره

ومن كل صوبٍ فم جائع
تمزق صيحــاتُــه الحنجره

***

حنانك لا تفلتي الذكريات
على وحشتي صوراً مصحره

فبي مثــل ما بكِ لكنما
أبت كبريائي أن تظهره

فردي اليَّ الذهــولَ الذي
تطـير لــه الروح مستبشره

فتلقاه أكرمَ من دمعة المتاب ،
ومن بسمــة المغفره

١٩٣٧

طهر

خجل العذراء ، صدى لرغبة مكبوتة ، ولكن
حبّ هذه العذراء ...

ألفيتُهـــا ساهمـــةً
شـــاردةً تأمّـــلا

طيفٌ عـــلى أهدابهـــا
كـتّـرهـــا تنقّـــلا

شقّ وشـــاح فجرهـــا
خميـــلةً وجـــدولا

وماج فيها رعشة
حرّى وشوقاً مُنزلا

***

ناديتها ، فالتفتتْ
نهداً ، وشَعراً مرسلا

واللحظ في ذهوله
مغرورق تملُّملا

طوّقتها ، يا للشذا
مطوّقاً ، مُقبّلا

فما انثنتْ حائرةً
ولا رنت تدلّلا

ولا درتْ وجنتها
من خجل تَبدّلا

كأنها في حبّها
أطهرُ من أن تخجلا !!

١٩٤٦

32

شرود

كتبها وهو مريض

صوت ينـــاديني . وفي مسمعي
منه أغـــاني أمـــل ممتـــع

من أين ؟ لا أدري ، ولكنني
أصغي ، وهذا الليل يصغي معي !

***

أختاه ، إني راحل فاهـــدأي
وزوديـــني بالرضى واهجعي

قوافل الأجيـــال قـد لوّحت
تومىء لي من أفق أوســـع

أنا الذي ذوّب أوتـــاره
وصبّهـــا برءاً عـــلى الموجع

لي من حنـــايا سـدرة المنتهى
متّكأي، إن شئتُ، أو مضجعي !

لا يا ضلال الروح، لن أكتسي
منك جنـاحيْ حلمٍ مفجـع

كم أمنيات عفتِ أعراسهـا
مـآتماً تعول في مخدعي

وكم نشيـد مسكرٍ في فمي
قاطعتهِ، فانهـلّ في أدمعي

حسبي اذا ألقيت طرفي على
أمسي، صدمتُ القلب بالأضلع

***

هيهات، لن يسمع هـذا الدجى
بعـدي حنين الوتر الطيِّع

ولن ينـام الحب في مهده
على صـلاة الشاعر المبـدع

قُبَّرةٌ فوق ضـلوع الضحى
غنّت.. وولّت.. ثم لم ترجع!

١٩٣٦

33

طيبة

اللیل والطیب ودارها

أين السرى يا ليل ، يا نزهة
الأشباح ، يا أرجوحة المرهق

أضرمت أشجاني ، ولا نجمةٌ
أسري على إيمائها المشفق

هذا قيادي ، فامضِ بي مثلما
يمضي النسيم الرخو ، بالزورق !

***

أين السّرى يا ليل ، أي شذاً
هذا الذي من فيضه أستقي

خدّر أقدامي على وهنها
وسلّني من أفقيَ الضيّق

وهزّ من أمسيَ أطيافه
فانتفضت عن سحرها المشرق

أرنو إليها بالعيون التي
حنّت الى الحلم ... ولم تُطبق

هنا الهوى يا ليل ، روّيته
بالأمل الحلو ولم يورق

34-

وخلته يكسو دروب الصّبا
بالياسمين الغضّ والزنبق

رضيت منه بالشراع الذي
ضُمّت عليه أضلعُ المغرق !

***

أي شذا يا ليل ... هذا الذي
أهوى على روحي ولم يرفق

أنفحة فيحاء ، أم لمحة
شاردة من حلم شيق

مالي وللأوهام أطوي على
تضليلها برد الصّبا الريق

ما فتّحت « طيبةٌ » أبوابها
ولم تقل يا وجد لا تخفقِ

***

يا ليل ... عُد بي لا أريد الضحى
أول ما يلقاه ... هذا الشقي !

١٩٣٧

عزاء

أما الصِّبا ، فلقد مرتْ لياليـــه

فابكيه ، يا عَفّةَ الجلباب ، فابكيه

ملكتِ قلبك عن روض الهوى زمناً

واليومِ روض الهوى غيضت سواقيـه

بالأمس إن جئت أبـــدي ما أكابده

لويتِ جيـــدك عما جئت أبـــديه

وما رثيتِ لدمـــع كنت أذرفه

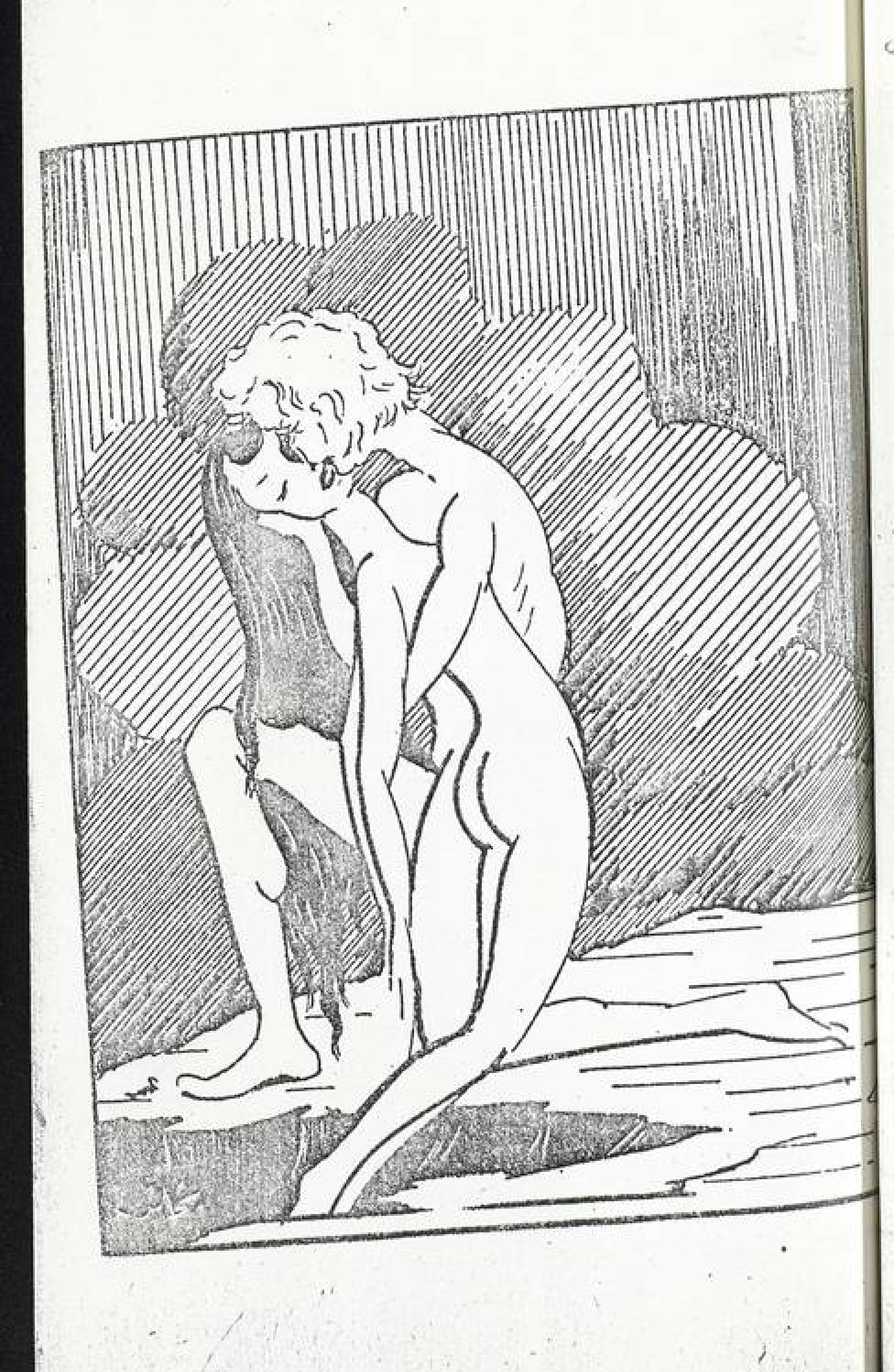
ولا عطفتِ عـلى جرح أعانيـــه

واليوم جئتُكِ ، لا صبّاً ولا كلفـــاً

بل للجمال الذي يـــذوي ... أعزيه

١٩٣٤

35



كأس

يروى أن ديك الجن الحمصي قتل جاريته الحسناء
حباً بها وغيرة عليها ، وجبل من
بقايا جثتها المحروقة كأسه ؛ وكان
ينشد بين شربه وبكائه أبياتاً من
الشعر

أجريت سيفي في مجال خناقها
ومدامعي تجري على خديها

روّيت من دمها الثرى ولطالما
روّى الهوى شفتي من شفتيها

ديك الجن

***

دَعْهـا ! فهذي الكأس مـا
مرّت عـلى شفتيْ نـديمِ

لي وقفـةٌ معهـا أمامَ
الله في ظـلّ الجحيم

دعهـا !! فقـد يشقيك فيها
لفحـة البغي الرجـيم

وتنفّسُ الشـبحِ الشقيّ
عـلى جُذى حب أثـيم

ما لي أراك تطيـل في
تأمـلَ الطرف الرحـيم

أتخـالني أهـذي ؟ وخمري
صحوةُ القلب الكليم

إشرب ! ولا تـترك جراحَ
السرّ تعـوي في رميمي !

***

كانت تغنيني ، وكنتُ
أحسّ بالنعمى تغني !

هيفاء ، لم يبلغ مدى
إغرائها وهمي وظني ...

كيف ارتضت دنبايَ دنياها
على قلقٍ وأمن

كيف استقت حبي وفضّت
فيه أجنحة التمني !

ما غرّها مني ؟ وماذا
أبقت الأيام مني

ألشيب مرّ بلمتي
وأقام في عجزي ووهني

والشوق ، أحلامٌ مخضّبة
تموت وراء جفني !

***

نـــادى هواهـــا ، فالتفتّ
ومـــا رددْتُ لـــه جوابا

وشبابهـــا الظمآن ، بـــين
يـــديّ يستجدي السرابا !

فوجمتُ ! مجروحَ الرجولة ،
أخفض الطرف اكتئابا

ورجعت للأكواب ، أملأها
عـــلى غصص شرابـــا

وأعبّهـــا حُمّى من الأهواء ،
تصطخب اصطخـــابا

فاذا دمي ، في مثـــل وهج
الجمر ، يلتهب التهـــابـــا

والنجمُ ، أسطـــعُ ، وهو يهوي
عن سماوتـــه اغـــترابا !!

3ع

***

مالت علـيَّ وطرفهـا
في يأسـه يتـضرع

وعبـيرها ، ما سالَ من
صـدر الربيع ، وأمتـع

فضممتهـا ، فتنهـدتْ
غصصٌ ، وصكّت أضلع

هي نشوةٌ ، لم يـبق لي
من بعـدها مـا يُطمع

كم ظبيـةٍ قعدت بعبء
جراحهـا تتوجـع

لمـا رأت في خشفهـا
الجوعَ الملـحّ يروّع

زحفت ، لترضعَه ، ومـاتت ،
وهو بـاقٍ يرضـع !!

***

نـامت ! وخلفَ نـديّ

جفنيهـا ... حيـاةٌ تحلمُ !!

طوراً تقطّب حاجبيها

تـارةً تتبسمُ

وعـلى ارتعاش شفاهـا

الحمـراء ، بوحٌ مُبهمُ !

فـدنوت أصغي ، علّهـا

في همسـةٍ تتلعثمْ !

ورجفتُ ... خشيـة أن

تطالعـني ، بمـا لا أعـلم

ورجعت أمشـي القهقرى

وجـوانحي تتـضرم

وعـلى خطـاي ، أرى

بقـايا سـلوتي تتحطم !!

39

***

نامت ! وجنح الليل جُنّ
وغيرتي الموجاء غضبى

أنا لن أعيش غداً فأروي ،
قلبها الظمآن حبا !

من أين ؟ والدنيا طوت
أظلالها الفيحاء وثبا

ومراكب الأيام ، شقّت
جبهتي درباً فدربا !

نامت ! وأشباح الغد
الباكي ، أدفّهن رُعبا !

أيضمّ غيري ، هذه النعمى !!
متى وسّدت تُربا ؟!

ويحي !! لقد جفّ الرضى
رطباً وضاقَ الكون رحْبا !!

***

قبّلتها !! والليل ينفض
عنه أسرابَ النجوم

ومدامعي تجري ، وكفي
فوق خنجريَ الأثيم

هي وقفةٌ رعناء ، ضاق
بهولها حِلم الحليم

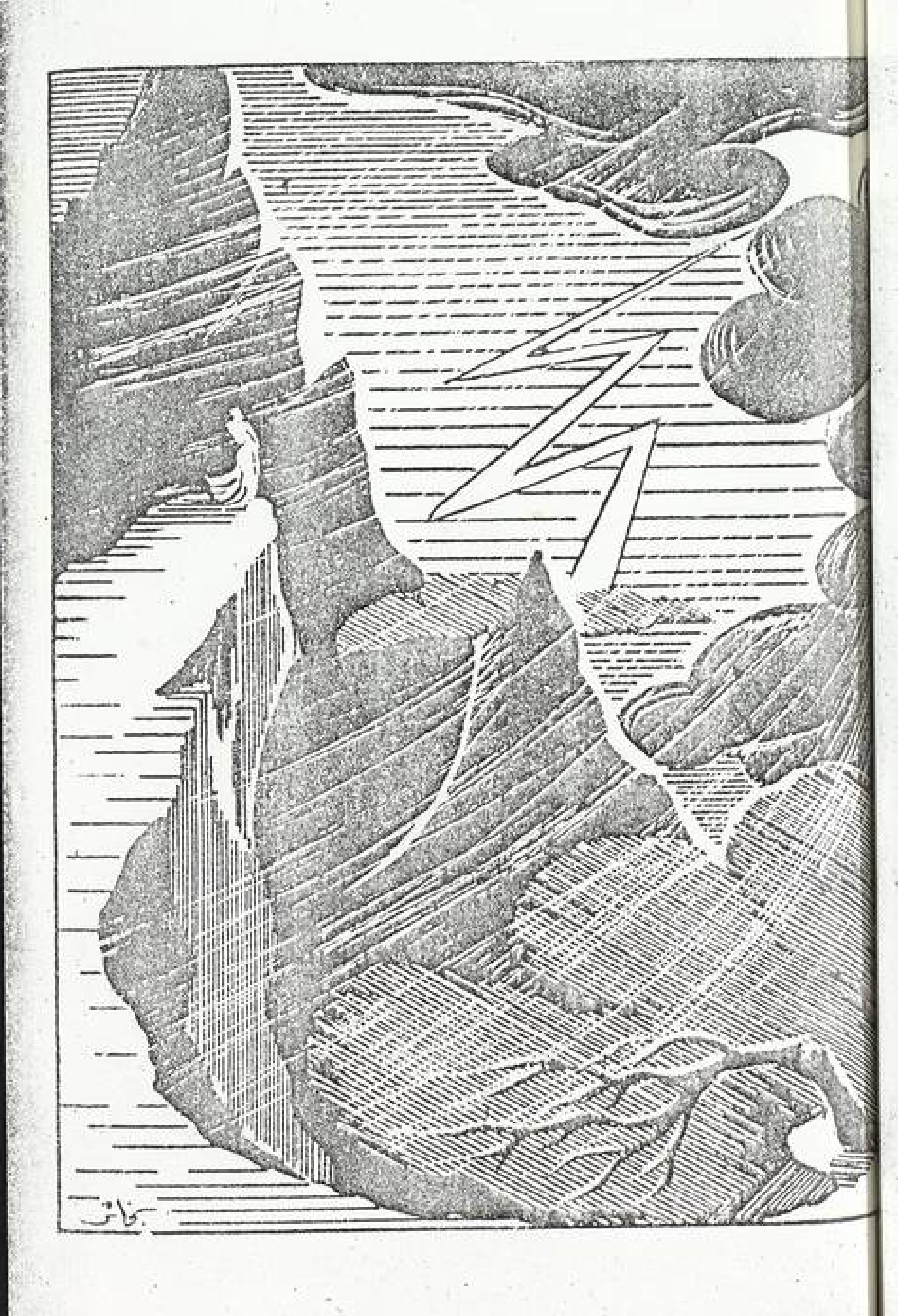
فحملتُ شلو ضحيتي
والنار حمراء الأديمِ

وجبلتُ من تلك الجذى
كأسي ، ومن تلك الكلوم

وغداً أحطمها ، أمام
الله في ظل الجحيم

فاشربْ ، ودعها ، فهي ما
مرتْ على شفتيْ نديم !!

١٩٣٥



مع المعري

ألقيت في المهرجان الألفي لأبي العلاء

ملعبَ الدهر لو ملكنا هدانا
لبلغنا من الحياة منانا

سبقتنا إليك أجنحةُ الشوق
وشقّت لنا سبيلَ خُطانا

وتلقيتَنا ببسمة إشفاق
وطوقتنا رضىً وحنانا

ودرجنا مع الشروق نغنيك
ونسقي سمع الدنا ألحانا

وحنين المجهول أخيلةٌ تنبت

من كل صخرة ريحانا

أي زادٍ سوى الظنون حملنا

وتركنا الى هواها العنانا

كلما أوغلت ركائبنا ضاق

على زحمة الدروب مدانا

واحتوانا من كل صوب ضبابٌ

يرجع الطرفَ خاشعاً حرّانا

أتريد الوجود منهتك الستر

يرينا أسراره عريانا ؟

ويفض الفدام عن قلبه السمحِ

ويجريه للعطاش دنانا

لو بلغنا ما نشتهي ، لرأينا الله

في نشوة الشعور عِيانا !

نحن نسج الثرى ؛ فما لأمانينا

على كل كوكب تتفانى

42

تلك أقدامنا تعثّرُ بالأعشاب
حيناً وبالحصى أحيانا

وظلال الغروب ، دون مُدى
الطرف ؛ الى رهبة اللقا تتدانى

نشطت قبلنا مواكبُ شتى
وترامت خضيبة خذلانا

وبقايا أشباحها من رؤى
المحموم أوهى تماسكاً واقترانا

تغمز الهاجسَ الرهيفَ ، فما
يبلغ صدقاً منها ولا بهتانا

وخفي الوجود ما انفك لا
ينبض قلباً ولا يرف لسانا

طلبته عينُ الخيال ولما
لمحته تكسرت أجفانا !!

***

مَلْعَبَ الدهر ، إن رجع حنين

من أقاصيك أرهف الآذانا

واستفزَّ الأجيالَ من حجرة

الغيبِ ، فهبّت تمزق الأكفانا

وتهادت تقلّ موكبَ فكر

يسحب الشهبَ خلفه أردانا

قام عنه أبو العلاء ؛ وقام

الموت ، مستنزفَ الاباء جبانا

قد طواه الزمانُ حتى إذا الخلد

اجتباه أطلّ بطوي الزمانا

ذاك تجواله كأن انطلاقَ

الروح فيه لم يستطب ميدانا

بين شك مروّعٍ ، ويقين

مطمئنٍ ، ما يأتلي حيرانا

وهو في حالتيه قيثارة

زهراء ، تروي نشيدها الفتانا

وقف الشرقُ بعد لأيٍ لتذكار
صداهــا مرنحاً نشوانا !!!

***

يا أخا الحكمة السنية هـل نلتَ
على سـدة الخلود أمـانا

كيف ألفيتَ عالماً لم يكحل
مرودُ النور جفنـه الوسنانا

هل محــا بسمةَ الكآبـة عن
فيك وأردى في صـدرك الأحزانا

وهدى خاطراً وزانَ لساناً
وشفى مقـلة وأرضى جنـانا

كم تهاوت من دونه روحُكَ
الحرّى وسالت جراحُها ألحـانا

عالم الوهم نحن صغنـا رؤاه
وأردناه أن يكون فكانا

لست تستطيع أن تكون إلهاً

فان استطعتَ فلتكن إنسانا !!

***

لمن الأرض إن سلاها بنوهـــا

وتناسوا سخاءهـــا المتانا

وهبتنـــا من قلبها ، خفقـــةَ

القلب ، وشدت بساعديهـا قوانا

وأباحت لنا جناهـــا وأعطت

فوق ما أفق حلمنا أعطـانا !!

فهي مرآتنـــا ومرآةُ مسرانا

ومرآة سخطنـــا ورضـانا

ما بكينا نفارها ، إنمـا العجزُ

على صرخة الحنـــين بكانا !!

***

أي قلب حملتـــه بين جنبيك

ووالاك طبعـــاً أسوانا

44

طالعتـــه الحيـاةُ مشبوبةَ
الأنفاس ، تذكي دماءه أشجانا

مرّ من وهجها الملحّ فما هـــدهد
شوقاً ، ولا شفى حرمـــانا ،

كنت في حبك المجرد ، لا تحبس
عن كل معتف إحســـانا

أمن الحب ان تـدار عليـــك
الكأس ، ملأى ، وتنثني ظمآنا

مـا العزاء الذي نحرتَ له العمرَ
وقدمتَـــه لـــه قربانا

أتصبـاك مورد من وراء الغيب
تغشى نعيمَـــه جذلانا

كنتَ تدري أن المناة طـــير
لاح في دوحة الحيـــاة وبانا

يا لزهو الصبا ، نظرتُ بعينيـــه
الى العيش مورقـــاً ريـــانا

ما عرفتُ ارتعاشةَ الكف

بالكأسِ اذا كانت المنى ندمانا

هيكلي الرحبُ، كلّ أهواءِ نفسي

في ذراه أقمتُها أوثانا

سوف أمضي كما مضيتَ ، وتدري

في حمى الروح ، أينا أشقانا !!

***

يا اخا الحكمة السنية ، هل منك

التفاتٌ الى صدى نجوانا

سلسلتها على الخناجر ذكراك

وقرّت في كل سمع بيانا

منك إشراقها ، ولولا الجذور

الخضر ما هزت الصّبا أغصانا

أتخاف الاصفاء ان يجرحَ المدأةَ

أو أن يصوغها أشجانا !

٤٥

قـــد يحن الطريد للربعِ مهما
سامه الربعُ شقوةً وهوانا !

هذه الدار كم سئمتَ بها العيشَ
وكم ذقت مرهـــا ألوانا

سرحت في ضلوعها شِبَعُ النسل
فنزّت ضلوعُهـــا أدرانا

وتلقيتهـــا أسىً فتلقتْ
أســـداً في قيوده غضبـــانا

فتعالت صيحاتك الحمر تهدي ،
لو ، أصابت أصداؤهـــا آذانا

فتواريت عن عيونٍ مراض
خلتَ ألحاظهـــا عليك سنـانا

فطويتَ الأيـــامَ في عزلة
الرهبان لم تحتسب لهـا حسبانا

قد تجفّ الحياةُ الا وريـــداً
ويضيقُ الوجودُ الا مـــكانا !!

***

كيف تفترّ عن رضىً ولياليك
أقامت عليك حرباً عوانا

وعجاف الرجال أرفع قدراً
منك في غيهم وأنبه شانا

طالما كنتَ مبصراً في دياجيك
وكانوا في نورهم عميانا

أسرجوا صهوة المذلة وانقضوا
على مثخن الجراح طعانا

واستباحوا مال الضعيف عتواً
وأهانوا حرماته طغيانا

وأزاحوا عن المنابر أحراراً
فهزّت أعوادها عبدانا

وتمشوا لدى الأعاجم حملاناً
وسابوا في قومهم ذؤبانا

46

هذه الزمرةُ التي في حماها
وقفَ الملكُ مطرقاً خزيانا

ما أظن العصورَ مرتْ عليها
فتلفتّتْ ، أما تراها الآنا !!

***

يا فؤاداً من المراحم نبضات
ومن جامد السَّنا شريانا

مرجل الحقد لم تلامسه كف
الحب الا أدمى لظاه البنانا

لم يزل شرّبُ النجيع سكارى
يتبارون حوله عدوانا

طرفوا مقلةَ السماء وأدموا
كبد الارض عثيراً ودخاناً

ما ألانت قلوبَهم أدمعُ الأيتام
أو هزهم أنين الحزانى

فضحاياهم تمور على الرمل

المدمّى ، وتعتلي صلبانا !!

كلهم في وليمة البغي يخشى

أن يرى جوف غيره ملآنا

والحجى بينهم شراعٌ على الدأماء

لا يرتجي له شطآنا !

قل لتلك الحمائم البيض طيري

فالخطايا تدفقت طوفانا !!

***

أأناجيك يا نجيّ الدراري .

وأغنيك أغنياتي الحسانا

إن آفاقك البعيدةَ لا تطلقُ

للخاطر الحبيسِ عنانا

حسبك المجد ، أن ترى كل يوم

لأغانيك عنده مهرجانا

١٩٤٤

النسوغ الثلاث

أختاه ! هـــذا موقـد جائعُ
يفتح شدقيـه ، فـــلا تنفري

لا تشرق العلياءُ إلا على
لسانه المندلع النّيرِ

فامضي معي ، نطعمه ما يشتهي
من روض هذا البشر المثمر

فنحن بنتنا حلم غابرٍ
تهفو اليه أعينُ الأعصُر

هي عثرنا بعد ما خوّضت
أقدامنا في نبعة الكوثر

نيرون ! روّى لهوَه قبلنا
على نشيد اللهبِ المسكر ...

***

هناك ، خلف الموقد المسعرِ
إمرأةٌ داميةُ المنظر
تغزل خيط الكفنِ الأحمر

١٩٣٩

48

حرمان

كان واقفاً على صخرة في جبل لبنان ؛ يستعرض
ذكريات خلابة ، فتلفت ذاهلا ، كأنه
يريد أن يكلم من ظنها قريبة منه .

ليلى ! أنا وحدي ! أقلّب في الربى
طرفاً يروح به الجمال ويرجع

أسهو على ذكراك ، حتى أنثني
متطلعاً ... لهفي لمن أتطلع !

بيني وبينك عالمٌ لم يُدنه
شوقٌ ، ولم يبلغ حماه تضرّعُ

أقتات بعدكِ بالخيال وقلّما
دفق الظلامُ ، وما احتوانا مضجع

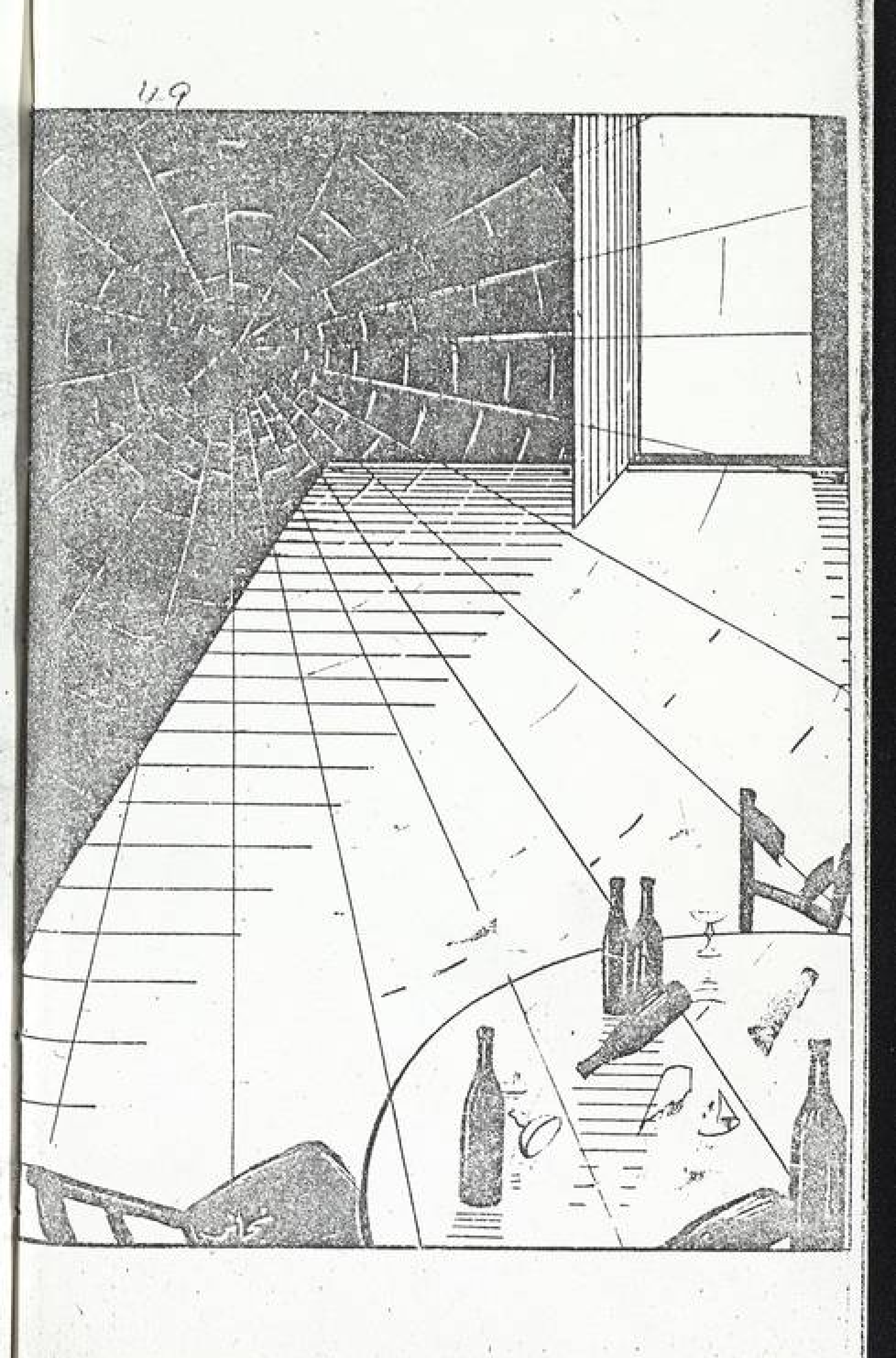
ليلى ! يكاد هواكِ يجرح زهوتي
فتبوح بالألم الدفين الأدمعُ

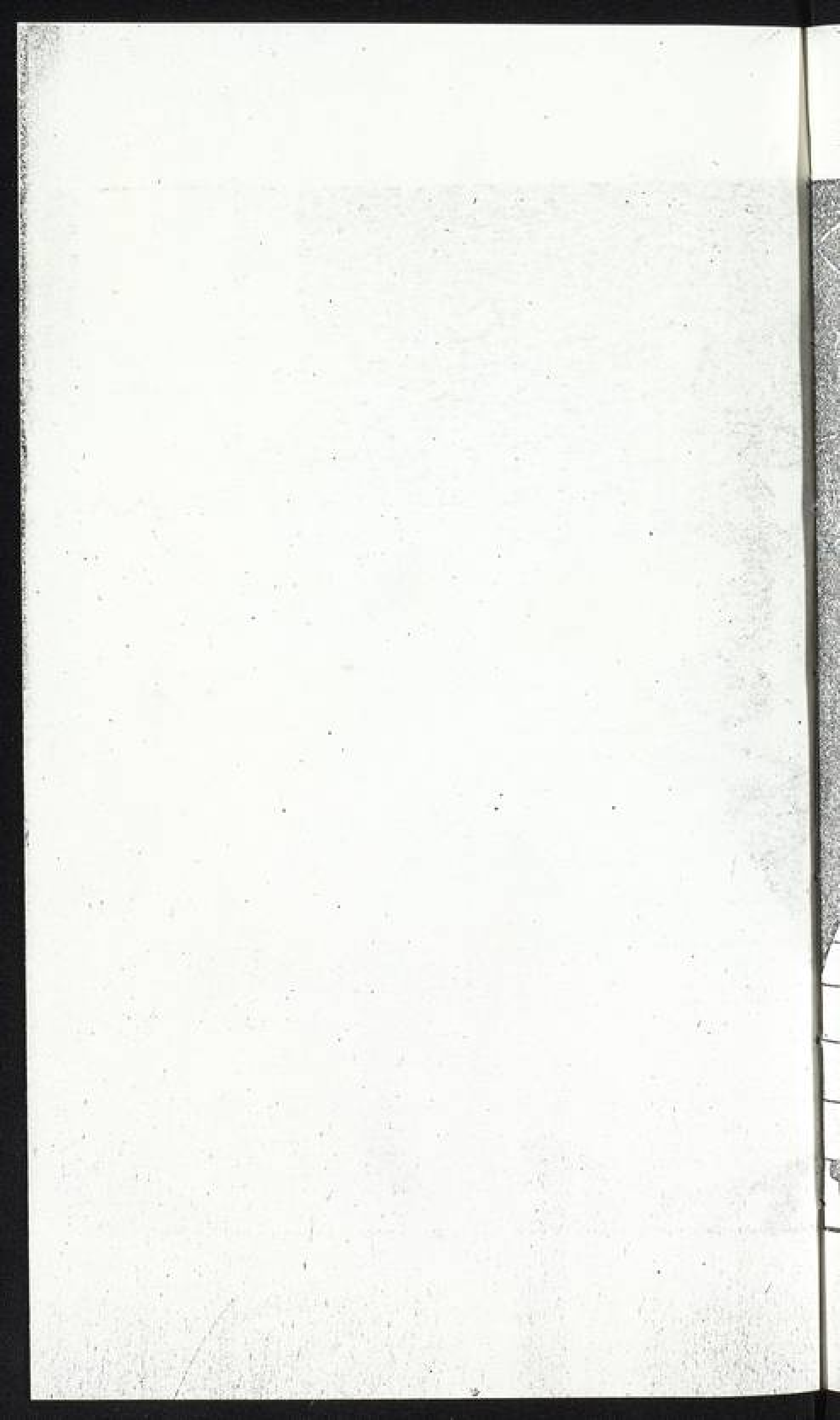
١٩٣٦

كان لي...

حلمي الأتاسي نائب حمص وصديق الشاعر ورفيقه
في الجهاد. احترقت به الطائرة وهو
في طريقه إلى مصر فخسرت بموته
البلاد شاباً من أنبه شبانها المناضلين.

كان لي في قرارة الأقداح
ما أروّي به غليل جراحي





50

رب نجوى على الطلا همستها
في خيـــالي ، خناجر الأقداح

لطمتْ في ذهولها جبهة الخطب
وأرخت عـــلى دجاه صباحي

وسمتْ بي عن عالم ملء جنبيه
حنـــين الأشباح للأشبـــاح

سلوة سلّها العياء فلا الحلم
إزاري ولا العزاء وشـــاحي

ردّها يا زمان ! واخلع على دنياي
وهمي واكبح عليها جماحي

حسب عمري أن أسترقّ عـلى
كفيك عزي ، وأستخف طماحي

وأزجي الخطى بضحكة سكران
وأطوي المنى بدمعة صـــاح

أين ؟ لا أين ! ندوتي ونقـــالي
وصدى مزهري ونفحة راحي

والصحاب الصِباح، والزهو رفاف
الحواشي على الصحاب الصِباح

يسأل القلب عنهم، وجــلال
الصمت في مسمعيّ، رجعُ نواح

ردّ لي يا زمان! سلواي؛ فالداء
دفين والبرء غـير متــاح

ربما حــار في وجومي حبيب
كان يشجيه في الحياة صداحي

مات! من مات؟ مات حلمي ومن
حلمي؟ أجيبي تكلمي يا جراحي!

قد يحن المحب في يقظــة
الذكرى لأطياف حبه المستباح

حــلم... يا بسمة المروءة
والإحسان والنبل والوفا والسماح

أصحيح؛ أن لن أكحل جفنيّ
بنعمى شبابك الوضــاح؟

5/

كم مشينا معاً ! وخلف خطانا
مخلب الشوك او خدود الأقاحي

نحمل المجد والصبا وكلا الحدثين
لم يشك غصة الملتاح

قيد بالدما لعوبٌ وأخرى
بجنى كل ممتع فوّاح

أو أذتَ المنى ، وعيشك مخضلّ
ومغناك باسق الأدواح ؟

ما انتهى بعدُ ما بقلبك من حب
لخير ونزعة لصلاح

أملتَ الادلاج ، حين طغى الليل
على كل كوكب لماح

ورأيت الرجالَ أسراب أهواء
عجاف وأمنياتٍ وقاح ؟

تنحر الكبرياء نحراً على
أعتاب عيش مدنّس فضّاح

وتصم الأسماع عن صوتك الداوي
وتصغي إلى الهوى الملحاح

فاوبتَ العذار عنها وأغضيتَ
ذبيح الرجاء نضوَ الكفاح

أرأت كيف ترتمي مِتع الدنيا
على راحة الردى الجتاح ؟

وتجر الحياةُ نعشَ صباها
في صباح الأعراس والأفراح

ما لها ! ما تزال تخترم الحق
على كل غدوة ورواح

عظةُ الموت لا تمرّ على قلب
غويّ ولا ضمير إباحي !

رب ! عفواً ! لقد ظلت نُمراها
في دروب من الضلال فساح

ما عليها ! وخمرها من نخوابينا
إذا عربدت على الأقداح

52

فلتكمّ الأفواه! إن شاءت الشكوى
انطـــلاقاً من الضاوع القراح

أي شعب يعطي السلاحَ إلى الباغي
ويشكو من وخز ذاك الســلاح

قـــد يعفّ الجزار لو لم تمرغ
تحت أقدامه رقابُ الأضاحي

***

شهد الله ان وفيْتُ بما عاهـدت
في موقف النضـــال الصراح

وتغاضيت عن وشـــاية واشٍ
وتصـــامتَ عن إسـاءة لاح

وأبيتَ الحكمَ الشهيّ فـلم
نلمحك فيـــه فراشةَ المصباح

وبذلت الحياة في دفع ضيمٍ
وهدى حيرةٍ وفــكِ سراح

فـاذا أنت ذكرياتٌ غوالٍ

وأغـاني المقيم والــنزاح

ليس تُطوى كما طُويتَ وراء

السحبِ البيضِ في مهب رياح

***

يا حبيبي أسامعٌ في حنايا القبر

نجوى الأشبــاح للأرواح

لهف نفسي كم بحةٍ في لهــاتي

ما لها في نشيجهــا من براح

نَمْ على الترب لا مزارك شافٍ

ما أعاني ولا خيالك بــاح

كيف آتيك بالنجوم وساداً ...

والليالي مقصها في جنــاحي ...

١٩٤٧

قلبي معك

كتبها على قبر والده

ناداكَ تحناني فما اسمعَكْ

فاذهب، فداك الشوق، قلبي معك

سرنا معاً حيناً ، وخلّفتني

وحدي..على الدرب الذي ضيّعك

أرنو إلى الدنيا ، وآفاقها ،

فما أراها جاوزت مضجعك

حسبيَ منها موعدٌ في المسا

أفهم فيه ، سرّ ما استودعك

١٩٤٣

وحشة هزار

وهزارٍ قد أوحشته مغانيــه
وعاثت كفُّ الأذى بسراحه

ناح في وكره الكئيب وحيداً
ومريرُ الآلام خلف نواحــه

يرسل الصرخة الحزينة في الشدو
ويزقو من داميــات جراحه

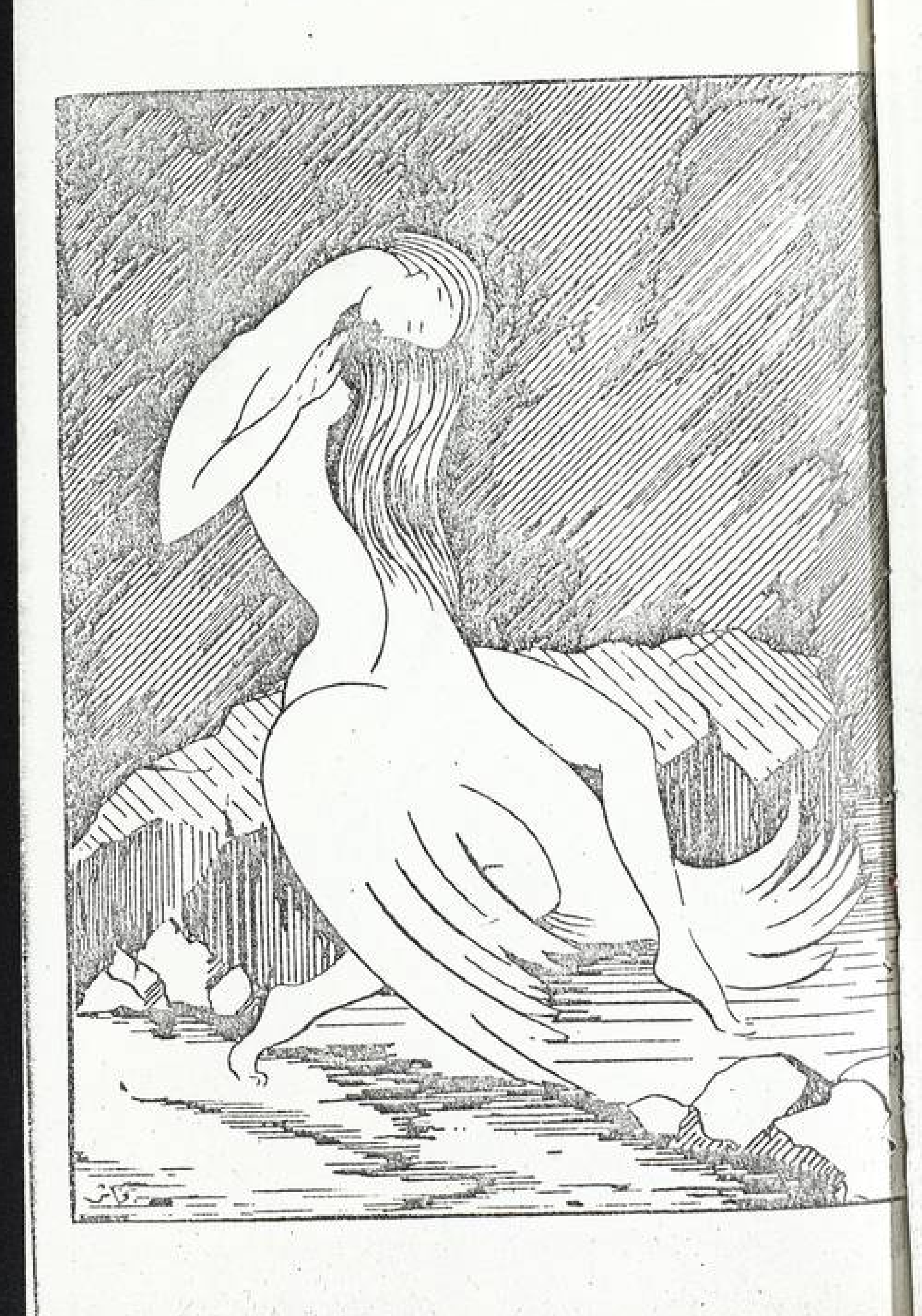
أبصر النهرَ راقصاً ورأى الروض
زهيـــاً في ورده وأقاحــه

ورأى إلفــه يروح ويغدو
وبيث الأطيارَ عذبَ صداحه

فبكى لوعةً ، فعاجله النزعُ ،
فلفَّ المنقارَ تحت جناحــه !

١٩٣٢

54



كبرياء

مرّغي جفنيك بالحلم وغيبي
وتنامي وحشةَ العمر الجديبِ

واهصري ما شئتِ من أجنحة
تشتهي الموت على وهج اللهيب

كبرياءُ الفتنة البكر أبتْ
أن ترى خمركِ في كأسِ حبيب

فاحملي الشوق ، فما تدري به
أذنُ الواشي ، ولا عين الرقيب

واسفحيه رعشة تنضح ما
قرّ في نهديك من خمر وطيبِ

يا ابنةَ الأحلام لا تستقبلي
مصرعَ النشوةِ بالطرف الكئيبِ

يكتفي الزنبق في صحرائه
بندى الفجر ، وأنسام المغيبِ

١٩٤٦

جان دارك

رأى في معرض « اللوفر » باريس صورة فتاة رائعة الجمال على صهوة جواد أدهم ؛ فاستغرب عندما علم أنها « جان دارك » .

الفجر أومأ ، والبتولُ
بحلمها المعسول نشوى
حتى إذا أطيافه
نفرت من الأجفان عدوا

56

أخذتْ تمطّى والفتور
يهزها عضواً فعضوا

وغطاؤها المعطار يزلق
عن ترائبها ويُطوى

وأكفها في شعرها
تزداد دغدغةً ولهوا

والناهدان بصدرها
يتوائبان هوىً وشجوا

فتشدّ فوقها وسادتها
وفي شغفٍ تلوّى

هيهات تُروى والحياءُ
خدينها هيهات تُروى !!

***

نظرتْ إلى مرآتها
والشعرُ مضطربُ الضفائرْ

ولحاظها بثمالة
الأحلام ساهيةٌ فواتر !

وقميصها المحلول فوق
تواثب النهدين حائر

فاستعرضت عيشاً كما
شاء الهوى ريانَ عاطر

وتمثلتْ خِدنا مجلّ
براحتيه لها المآزر

ويضمها شغفاً ونهمي
فوقها القُبَلُ المواطر !!

فتلجلجتْ خجلا وغصّتْ
بالشهيّ من الخواطر !

وتنهدت ألماً وأطبقت
الجفون على المحاجر !..

***

وقفت تصلي هيبةً

والنفس خاشعة كئيبه !

وصليبها القدسيُّ يرمقها

بنظراتٍ رهيبه

فتزحزحت أجفانُها

عن دمعة القلق السكيبه

وفؤادها المخذول يكتم

في مخاوفه وجيبه

فاستغفرت عن حلمه

الطاغي ولفتته المريبه

واستعصمت بصليبها

من كل هاجسة غريبه

وبنت له خلفَ الضلوع

هياكل الحب الرحيبه

وأتتْ على أمل الشباب

وطيب زهرته الرطيبه !

***

مضت الليالي ... مثلما
الأحلام في أجفان نائم

فإذا البتول على جواد
مثل جلد الليل فاحم

وأمامَها عَلَمُ البلاد
يموّجُ الجنبات باسم

ووراءها جيشٌ من
الفرسان مشدود العزائم

وخيوله مختالة
تحت العوالي والصوارم

ينساب في الوادي كما
الرقطاء بات لها قوائم !

وغباره يعلو على
جنبيه من عسف المناسم

58

والأفق مطروفُ العيون
بلفحه والصخرُ شاتم !

***

نادت بفيلقها البتولُ
وهزّ ساعدَها المهنّدْ

وعدتْ الى حرم الجهاد
السمح بالعزم الموطّد

فتلاحم الجيشان فاندلع
اللظى والهول أرعد

هذا يفرّ وذا يكرّ
وذا يكبّ وذاك يصعد

والموت يأكل ما تُلقّمُهُ
يدُ الطعن المسدّد

حتى إذا نالت نبوا
جذه من الأشلاء مقصد...

بدت البتول كما بدا

من كوة الظلماءِ فرقد

تختال جذلى بالفخار

وعزة النصر المخلد

***

نصرٌ على نصر أقضّ

مضاجع الأبطال ذعرا

حتى إذا الوطن الأسير

بدا من الأغلال حرا

هوتِ البتولُ المستميتة

في يد الأعداء غدرا

فطفت سخائمهم كما

لو في الهشيم قذفتَ جمرا

ومشوا بجوساً يحملون

بتوهم للنار ُنكرا

ورموا بهـــا وتجمعـــوا
من حولهـــا تيهـــاً وكبرا

فتجـــلدت ويـــد اللظى
ترمي بئزرهـــا فتعرى

وتهزهـــا هزاً فتعـــلو
تـــارة وتخرّ طـــورا !

***

أخذت تصعّـــدُ روحَهـــا
في قبضـــة النـــار المهيبه

وأمامهـــا تمشي طيـــوف
الخلد في حلـــل قشيبـــه

فبـــدت تصـــلي للصليب
صـــلاة فـــائزة طروبـــه

فـــاذا بـــه ما زال
يرمقهـــا بنظرات رهيبـــه !!!

١٩٣٥

سلوان

من غنائية الطوفان

يا قلب ، حزنك ما أشدّهْ
خفر الحبيب اليوم ودّه
ماذا عليك اذا تناسيت
الهوى وطويت عهده !

أمن المودّة أن تعبث
باضلعي ! أمن المودّه

جاوزت حدّ الشوق يا
واهي القوى ، جاوزت حده

لو كان جرحك يسترَدّ
وفاءَه لك لاسترده !

قد طاب بعدك عيشه
فعلامَ عيشك ساءَ بعده

كم مرتع بتنا به
والليل حاك عليه بُردَه

ولكم أذعتُ عليه وجدي
في الهوى ، وأذاعَ وجده

وكم انبرى حلوَ الدلالِ
ومدّ لي نشوانَ زنده

حتى إذا طوقته
أدميت بالقبلات خده

١٩٣٣

عنفوان

لم ترتشف دمعي شفـــاه الهوان
ولم ينادِ المجـــد ، هذا جبـــان
فاعصف فـــاني صخرة بازمان

***

طلعتُ في دنيــاك عفّ الرداء
وملء جنبيّ انتفــاضُ الاباء
أمشي ، ويمشي في ركابي الرجاء
والدرب بالريحان ، يزهو افتتان
وانت تهمي بالرضى يــا زمان

***

انا الذي فضّ غيوب الوجود
وصبّها لحنــاً بـأذن الخلود
فلم يلح لي منك غـيرِ الجحود
كأنما لم تصغ لي كلّ آن
وفيــك مني نشوة يا زمان

***

إفتحْ كوى البغي ، وخلّ الرياح
مجنونــةً تزرع صدري جراح
النسرُ لا يرجف منه الجنــاح
خوفــاً ولا يخذله العنفوان
إذا دعــاه حتفُه يا زمان

١٩٣٧

خداع

ملكتِ عليّ نعيم الحيـــاه
وصفقتِ في أفقــــه طائره

وتهت علي فـــلم تسمعي .
صـدى زفرة في الدجى ثائره

ولما نفضت يـدي من هوىً
طهور كقلبك يا طـاهره

علقتُ بكل سدوم الطبـاع
صريعـــة لذاتها الكـاسره

***

أرى بين جفنيك جسر الدموع
تســـير عليه طيوف الألمْ

أتخشينني ؟ إن أمســـي انطوى
فــلا تنشريه خضيب الذمم

62

فلم يبق فيه ، إذا ما التفتّ

إليه ، سوى غصصٍ من ندم

فلا تتركيني على صبوتي

طليقَ الأماني ، كسبحِ القدم

***

سكتّ وطرفي على طرفها

غضيضٌ ، وفوق يديها يدي

فأسندت الرأس في رقة

على قلبيَ الثائر المجهد

ولما هممت بتقبيلها

ورشف الرضاب الشهي الندي

سمعتُ نداء الضمير الجريح

يتمتم : يا وغد لا تعتدِ

***

حنيتُ على وقعه هامتي

وسرتُ على غير ما مقصدِ ...

١٩٣٥

محمد

مقدمة ملحمة النبي

أي نجوى مخضلة النعماء
رددتها خناجرُ الصحراء

سمعتها قريشُ فانتفضت
غضبى وضجت مشبوبةَ الأهواء

ومشت في حمى الضلال الى
الكعبة مشي الطريدة البلهاء

وارتمت خشعةً على اللات
والعزى وهزتْ ركنيهما بالدعاء

وبدت تنحر القرابينَ نحراً
في هوى كل دمية صماء

وانثنتْ تضرب الرمال اختيالا
بخطى جاهلية عمياء

***

63

عربـــدي ياقريش وانغمسي ما
شئت في حمـأة المنى النكراء

لن تزيلي ما خطــه الله للأرض
ومـــا صاغه لها من هنـــاء

شاء أن ينبت النبوةَ في القفر
ويلقي بالوحي من سينـــاء

فسلي الربعَ ما لغربة عبد الله
تطوى جراحُهـا في العزاء

ما لأقبـالِ هاشم يخلع البشرُ
عليهـا مطارفَ الخيـــلاء

أنظريهـــا حول اليتيم فراشاً
هَزجاً حولَ دافق الــلألاء

وأبو طالب على مذبح الأصنام
يزجي له ضحـــايا الفــداء

هو ذا أحمد، فيا منكب الغبراء
زاحمْ مناكب الجوزاء

***

بسم الطفل للحياة وفي جنبيه
سرّ الوديعة العصماء

هبّ من مهده ودبّ غريبَ
الدار في ظل خيمة دكناء

تتبارى حليمةُ خلفه تعدو
وفي ثغرها افترار رضاء

عرفت فيه طلعةَ اليمن والخير
إذا أجدبت رُبى البيداء

وتجلى لها الفراقُ فأغضتْ
في ذهول وأجهشت بالبكاء

عاد للربع ، أينَ آمنةٌ
والحبُ والشوقُ في مجال اللقاء

ما ارتوت منه مقلة طالما شقت
عليهِ ستائرَ الظلماء

يا اعتداد الأيتام باليتم كفكفْ
بعده كل دمعةٍ خرساء

***

64

أحمـــدٌ ، شب يا قريش فتيهي
في الغوايات واسرحي في الشقاء

وانفضي الكف من فتى ما تردّى
برداء الأجـــداد والآباء

أنتِ سميتـه الأمـين وضمخت
بذكراه نـــدوةَ الشعراء

فدعي عمـه فمـا كان يغريه
بمـــا في يديـــك من إغراء

جاءه متعبَ الخطى شاردَ الآمال
ما بـــين خيبةٍ ورجـــاء

قال هوّنْ عنك الأسى يا ابن عَبد
الله واحقنْ لنـا كريمَ الدماء

لا تسفّه دنيـا قريش تبوّئك
مـن الملك ذِروة العليـــاء

فبكى أحمدٌ ، وما كان من يبكي
ولكنهـــا دموعُ الاباء

فلوى جيدَه وسار وئيداً
ثابتَ العزم مثقلَ الأعباء

وأتى طودَه الموشّح بالنور
وأغفى في ظل غار حراء

وبجفنيه من جلال أمانيه
طيوفٌ عُلوية الاسراء

وإذا هاتفٌ يصيح به إقرأ
فيدوي الوجودُ بالأصداء

وإذا في خشوعه ذلك الأميّ
يتلو رسالةَ الايحاء

وإذا الأرض والسماء شفاهٌ
تتغنى بسيدِ الأنبياء

***

جمعت شملَها قريش وسلّت
للأذى كل صعدةٍ سمراء

وأرادت أن تنقذ البغيَ من
أحمد في جنح ليلة ليلاء

فأتاه الصدّيق منخلع اللب
مشاراً بأفدح الأنباء

فتلقاه أحمد باسمَ الثغر
علياً بما انطوى في الخفاء

أمر الوحيُ أن يحث خطاه
في الدجى للمدينة الزهراء

وأقاما في الغار والملأُ العلويّ
يرنو إليهما بالرعاء

وقفت دونه قريش حيارى
وتنزت جريحةَ الكبرياء

وانثنت والرياح تجأرُ والرملُ
نثيرٌ في الأوجه الربداء

***

هللي يا ربى المدينة واهمي
بسخي الأظلال والأنداء

واقذفيها ، الله أكبرُ ، حتى
ينتشي كلُ كوكب وضاء

واجمعي الأوفياءَ إن رسول الله
آتٍ لصحبهِ الأوفيـاء...

وأطلّ النبيُ فيضاً من الرحمة
يروي الظماة تـلو الظماء

والصلاة الطهور عالية الأصداء
جوّابـة بكل فضـاء

هزت الجاهليّ فاهتز إنساناً
نجيّ الرسالة العـذراء

وقريش في يقظة الحقد وهجٌ
من عنادٍ ولفحة من عـداء

كلما مرّ مؤمنٌ بحماهـا
قـذفته بطعنـة نجلاء

خسة تـترك المروءةَ غضبى
وترد الحلومَ صرعى حيـاء

ضاق ذرعاً بها النبي ، فنادى
فاذا الصافنات رجعُ النداء

واذا الصيدفوقها يحملون الشهبَ
أسيافَ نخوة شماء

وتخطّام النبيّ ، فساروا
في ركاب الهدى الى الهيجاء

لم يرقه سفكُ الدماء ، ولكن
عجز الحلم في انتزاع الداء

دَرَنُ النفس ليس يمحى إذا لم
تجرِ فيه مباضعُ الحكماء

وإذا الحلمُ لم تجد فيه بنّاءً
فأكرم بالسيف من بنّاءِ

***

وقف الحقُ وقفةً عند بدرٍ
شحذت في الغيوب سيفَ القضاء

ووراء التلال ركبُ أبي سفيان

يحمي سرية الفيحـــاء

وقريش في جيشها اللجب تسعى

بين وهج القنا وزهو الحداء

بلغت منحنى القليبِ ولقّت

مَـــن عليه ببسمة استهزاء

وأرادت أكفاءها فتلقـــاها

عـــليٌّ ذؤابـــةُ الأكفاء

جز بالسيف عنق شيبة وارتد

إلى صحبه خضيبَ الرداء

فطغى الهول والتقى الند بالند

وماجا في لجـــة هوجـــاء

وعيون النبي شاخصة ترقص

في هدبها طيوفُ الرجاء

ودنت منه عصبة الاثم والموت

على راحها ذبيح عيـــاء

فرماها بجفنــــة من رمــــال
ورنا ثـــائر المنى للعلاء

ودعا «شاهت الوجوه» فيا أرض
اقشعري عـلى اختلاج الدعـاء

***

قضيَ الأمرُ يا قريش فسيري
للحمى واندبي عـلى الأشلاء

واحذري الطيب أن يمس غلاماً
في نديّ او غادة في خبـــاء

وأعدّي للثـــأر حُمرَ السرايا
واحشديهـــا للوثبــة الرعناء

يوم بدر يوم أغرّ على الأيام
باق ان شئت أو لم تشائي

ركز الله فيــه أسمى لواء
وجثا الخلـد تحت ذاك اللواء

طوي الحول وانطوى أحدٌ فيه
ولم تحملي سوى الضراء

أي ذل على جفونك يعوي
وركابُ النبي ملء العراء

حلّ في مكة ووجهك في الترب
خضيب ؛ ووجهه في السماء

ومشى للصلاة والكعبة السمحة
في غمرة من النعماء

وتعالى التكبير ، ياسدةَ الأصنام
ميدي وياعلوج تنائي

واشهدي يا سماء أن رسول الله
أوفى بالعهد خير وفاء

***

وجم المؤمنون في رهبة الظن
وناموا على رؤى سوداء

وغطى على المدينة صبح
كاسف الوهج قاتم الأفياء

أحمد ودع الحياة ، فيافاروق
أقصر ما فيك من غلواء

كل حي رهن الفناء وتبقى
آية الله فوق طوق الفناء

***

يانجيّ الخلود تلك سراياك
على كل ربوة غناء

حملت صبوةَ الشآم وفضتها
أريجاً على فم الزوراء

وشجتها غرناطة فشفت منها
فؤادَ الصبيّة الحسناء

فاذا الأرض في عرائسك الأبكار
مغنى سنىً ومجلى سناء

حلم وانقضى، نبا للمناجي
زُهرَ أطيافه وبالرائي

***

يا عروسَ الصحراء مانبتَ المجد
على غير راحة الصحراء

كلما أغرقتْ لياليَها في الصمت
قامتْ عن نبأة زهراء

وروتها على الوجود كتاباً
ذا مضاء أو صارماً ذا مضاء

فأعيدي مجد العروبة واسقي
من سناه محاجرَ الغبراء

قد ترف الحياة بعد ذبول
ويلين الزمان بعد جفاء

١٩٤١

يا عوادي

ألقيت في حفلة تأبين الملك غازي
في الجامعة السورية بدمشق .

شهقةٌ في الدجى وراء البوادي
روعت خاطر الضحى المتهادي

فتهاوى يخضّل النورَ والأنداء
ما بين مطرف وضماد

ويروّي الأنسام من عبق التاج
المدمّى على الرمال الصوادي

فاذا الأفق هينمات صلاة
صعدتها عرائس الآباد

ما وعاها النخيل حتى سرى في
دجلة والفرات رجع تناد !

فأفاقت بغداد ، بنت الأساطير
وماجت بكبرياء الحداد

تخنق الزفرة العنيدة في الصدر
وتجري مع الحجى باتئاد

أي جرح جسته بين انطلاق
الموذج السمح واختيال الحادي

ورفيف المنى ، وإيماءة المجد
وحلم السيوف في الأغماد

لم يزل نعش فيصل يتمشى

في ثنايا ضلوعها والفؤاد

كم شجاها خياله بين خفقات

بنود وحمحمات جياد

وهي في قبضة الخطوب انتفاض

من إباء ولفتة من عناد

يا عوادي الزمان لن تلمحي في

جفنها الدمع .. فاخجلي ياعوادي !

***

غازِ . ياروعة التفاف قريش

يوم بدر حول النبي الهادي

وصدى صيحة القلاع المنيفات

الى ابن الوليد وابن زياد

وسنى النصر في إياب بني العباس

من رهج غضبة وجلاد

قمت في ميعة الصِّبا مرهف الحس
نجيّ العلى بعيد المراد

تسأل البيد ، هل تبقى عليها
أثر من قوافل الأجداد !

أجرت من يبابها نبعة الوحي
لري الأغوار والأنجاد ؟!

أتعرت ليكتسي المجد منها
خير ما في الخلود من أبراد ؟!

أعليها تمزقت عبوات الروم
والفرس بالخفاف الصعاد !

أين من صمتها المهيب أراجيز
فخار علوية الانشاد !

حفنةٌ من رمالها أمس كانت
سدرة المنتهى وزاد المعاد !

تلك ذكرى أيقظتها فأثارت
فيك إرث الأبوة الأمجاد

٧١

فتلفّتْ عن محاجر نسر
ساخرٍ من مجاهل الأبعاد

وبجنبيك نشوة من طلا
الفتح تريك الشدادَ غير شداد

تشتهي لو تجمّد النورَ أحجاراً
توشى بهن تاج البلاد

وتخلي حوافر الضمّر الخيل
على كل كوكب وقاد

ثورة هاشمية في شباب
الملك صخابة على الأصفاد

***

ليس يطوي التاريخ صفحة مجد
أنت سطرتها بأسنى مداد

يوم هزت آشور في وجهك
الطلق رماحاً رعّافة الأحقاد

وأبوك العظيم ينسج في الغرب
الأماني من لبـــدة الآســـاد

فغمزتَ المسوّمـــاتِ فهبت
بالمناجيـــد والقنـــا الميّـــاد

تتشظى على مناكبها الحمراء
هـــامُ المشردين الأعـــادي

وانثنت مثلما أراد لك المجـــد
وردّت إليــك زهو القيـــاد

فأتيت الحليفَ فاصطنع الودّ
وحيـــاك بالريـــاء البادي

فتفجرتَ صائحا ، أين حرمات
عهــود وأين بيض أيـــاد

إخلعوها أجلادَ رقش الأفاعي
قد عرفنا ماذا ورا الأجلاد

أتغدون في بلادكم لأبي الكأس
وتروون بالنجيــع بلادي

ما عهدنا الرجال تلجأ للختل

إذا آل جمرها لرماد !

نحن لانطعن الظهور ولا نأخذ

بالغدر واريات الزناد

شرف البيض أن تسلّ على

الأوجه بين الأنداد والأنداد

هكذا هكذا الشباب لبانا

من لهيب وصيّباً من عهاد !!

***

أمل رقّ تناثر أطيافاً

يتامى في يقظة ورقاد

مرّ بالعمر مرّ أجنحة الطير

أحست بكمن الصياد

لهفة الصيد من شبولة مروان

على عرس حلمها المتآد

كيف أخفتَ صوتها العذب
يا غازي ونهنهتها على الألحاد

أرقصتْ أمس أضلع المنبر الحر
بنجواك يا أعز جواد

وأقامت عماد عزتها ما بين
كفيك يا رفيع العماد

سئمت خلّب البروق وضجت
تحت عض الثقيلة الأقياد

ماتوانت عن الجهاد فهذا
تربها لم يزل منار الجهاد

انما قبل وثبه لافتراس
يسكن الليث بالنيوب الحداد !!

***

غاز.. كم زغردت بغازي الصبايا
خلف ركب البواسل المرّاد !

73

ماتعودتَ أن يناديك أفق
عربي ولا تجيب المنـــادي

جبلُ النار صاخب يلطم البغي
بما في يديـــه من أكباد

وبقـــايا نسوره في الرعان
الشم نضاخة الجراح صواد

تنقي الوهج بالجناح وتهوي
سنبلا خلف منجـــل الحصّاد !!

من لمهد المسيح والمسجد الأقصى
وقـد ردّدا صلاة الجهـــاد

أتساقيها الشقـــاء فـــلولٌ
من ضـلال وعصبـة من فساد

لفظتها لفظ النواة المعـــالي
ودعتهـــا تهيم في كل واد

إيـه أرض الميعـاد لاتطمعيها
فهي من حتفهـــا على ميعاد

غرها وعد أمة ما روى الراوون
عنهـــا أسطورة من وداد

أوفت للحسين زند العلى البكر
وصوت العروبــة الرداد

أو لم تعتصم بعسكره المجر
غداة الأهوال في المرصـــاد

وتسر للمنى عـــلى كل جسر
عربي الأرواح والأجســاد

إسألوها من ذلــك الشيخ
في الأسر مسجى على فراش قتاد !!

ياجراح الوفاء سيلي وضجي
واستفزي كوامن الأحقـاد

ما أرى الأنفس الرحيمة إلا
نعجـــة تحت خنجر الجلاد !!

***

74

هذه أمتي ، وهذي مغانيهـــا
تجر السواد في الأعبـــاد

كلما لاح بارق في سمـــاها
أطفأته ريـح الزمان العادي

جمعتها هوج الليالي على الجرح
كما تجمع النـدامى شواد

والزوايا كم قرّبت بين أشتات
بـــداد وأمنيات بـــداد

أي قلب في الشام لم يصدم الأضلاع
صـــدماً على هوى بغداد

يا عروس الصحراء ضمي جناحيك
عـلى الطفل ضمـــة الاسعـاد

إن في مقلتيه من روعة الآباء
أطيافَ حكمة وســـداد

سوف تلقين تحت غرتـه الشقراء
دنيـــا جديـــدة الميـــلاد !

١٩٣٩

قيود

ألقيت في حفلة الذكرى لابراهيم هنانو

وطنٌ عليه من الزمان وقارُ
النور ملء شعابـه والنارُ

تغفو أساطير البطولة فوقه
ويهزها من مهدها التذكار

فتطل من أفق الجهاد قوافلٌ
مضر يشدّ ركابها ونزار

تستيقظ الدنيا على تَزْآرها
وتنام تحت لوائها الأقدار

أيام لم يعجم لها عود ولم
تهتك لسدرة مجدها أستار

سارت على هام الخطوب وللمنى
شبحٌ على وهج الجحيم مشار

والصبح من دفق الدخان دجنة
والليل من سيل اللهيب نهار

والموت جرح الكبرياء بصدره
يعوي وتضحك حوله الأعمار

فاخفض جناح الكبر هذي تربة
غمر الخلودَ أريجها المعطار

في كل صقعٍ من جماجم نشئها
حَرَمٌ على شرف الجهـاد يزار

***

ما أقرب الماضي الذبيح يغيب في
طيـاته المستقبـل الجبار

نوح المآذن مـا يزال بسمعي
تدوي به الآصـال والأسحـار

فكأنما بالأمس ضلّتْ في الدجى
سفنٌ، ومالَ على الرمـال منار

يا منة الزمن البخيـل، ومنتهى
حلم العلى، إن الحيـاة إسار

مرت لياليك العـذابُ وأنت في
الأجفانِ طيف العزة الخطـار

ماذا وراء غيـاهب الجيـة
قصّتْ بهن جنـاحيَ الأسرار

76

روح على شفة الخلود وهيكلٌ
خاوٍ على قدم الفنـــا ينهار

ذكراك عرس المجد لم يُكسر له
دُفٌ، ولم يحطم له مزمـــار

تشدو بنات النور لحن جلاله
وعلى سواعدها اللدان الغار

ونقـــاله الزاهي ضحايا حرةٌ
وبساطـــه الضافي دمٌ مدرار

يهمي بنفحـــات البطولة مثلما
يهمي بنفحـــات الربى آذار

فافتح كوى الآباد واسفح نظرة
تعيى بحل رموزهـــا الأفكار

هذي الديار عشقتها ولطالمـــا
هزت حنـــين العاشقـــين ديار

تلك القوافـــل من شبولة يعرب
مـــا زال منهـا فيلق جرار

تتواثب الويلات نصبَ عيونه

ولها على عنق الوفا أظفار

يغفو إلى تمزيقهن وليس في

كفيه من حلل الردى بتار

أفسى جراح المجد جرحٌ لم تكن

تقوى على تضميده الأحرار

***

والقدس ، ما للقدس يخترق الدما

وشراعه الآثام والأوزار

أي العصور هوى عليه وليس في

جنبيه من أنيابه آثار

عهد الصليبين لم يبرح له

في مسمع الدنيا صدىً دوّار

صفّ الملوكَ فما استباح إباؤهم

شرفَ القتال ، ولا أهين جوار

٦٦

ناموا على الحلم الأبي فنفّرت
منه الطيوفَ بنوةٌ فجـــار

صلبوا على جشع الحياة وفاءهم
ومشوا عـلى أخشابه وأغاروا

ولكل كف غضـةٍ سكينةٌ
ولكل عرقٍ نابضٍ مســمار

مدوا الأكف إلى شراذم أمة
ضجت بنتن جسومها الأمصـار

ورموا بها البلدَ الحرامَ كما رمت
بالجيفـــة الشطّ الحرامَ بحار

وبنوا لها وطناً وعبقُ محمـــد
وابن البتول بأفقـــه زخـار

أين العهود البيض ترقب فجرَها
بتلهفٍ صبّابـــةٌ أبرار

ولدْتُ ، وفي حلقِ العروبة بحةٌ
وعلى مراشفهـا العطاشِ غبار

إن الضعيف على عريق فخاره
حَمَلٌ يشـدّ بعنقه جزار

***

عفواً أبا الأحرار كم من زفرة
مخنوقـة أخشى الغـداة تثار

فاذا وجمت فلست أول شـاعر
تعبت وراء بنانـه الأوتار

أنا عند عهدك لا تليـن شكيمتي
كلا ولا يُعزى إليّ عثـار

لا عشت في زهو الشبـاب منعماً
إن نال من زهو الشباب العـار

١٩٣٧

؟

عرفتك في ميادين الجهـــادِ
صليب العود، ممتنع القيـــاد

تنازلك الخطوب فتزدريها
وفي شفتيك بسمات العناد !

فكنت مروءة في الأرض بكراً
تدر على العلى بيض الأيادي

فكيف تعثرت قدماك حتى
هويت من الصلاح الى الفساد

أغرك من متاع العمر عيشٌ
دفيق الطيب مخضلّ الوساد

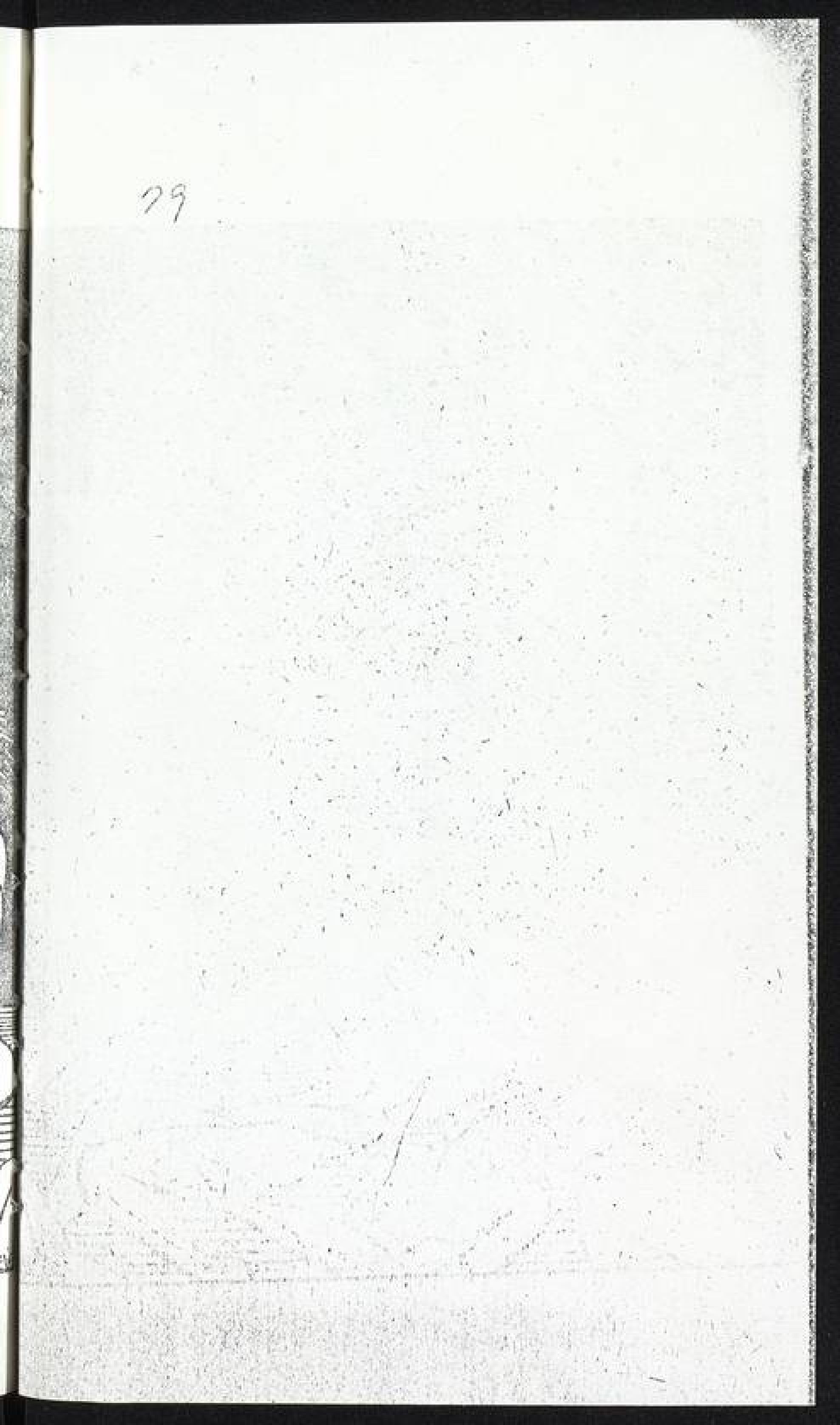
سل الأحرار هل حنت لكأس
على ذلٍ حناجرها الصوادي ؟

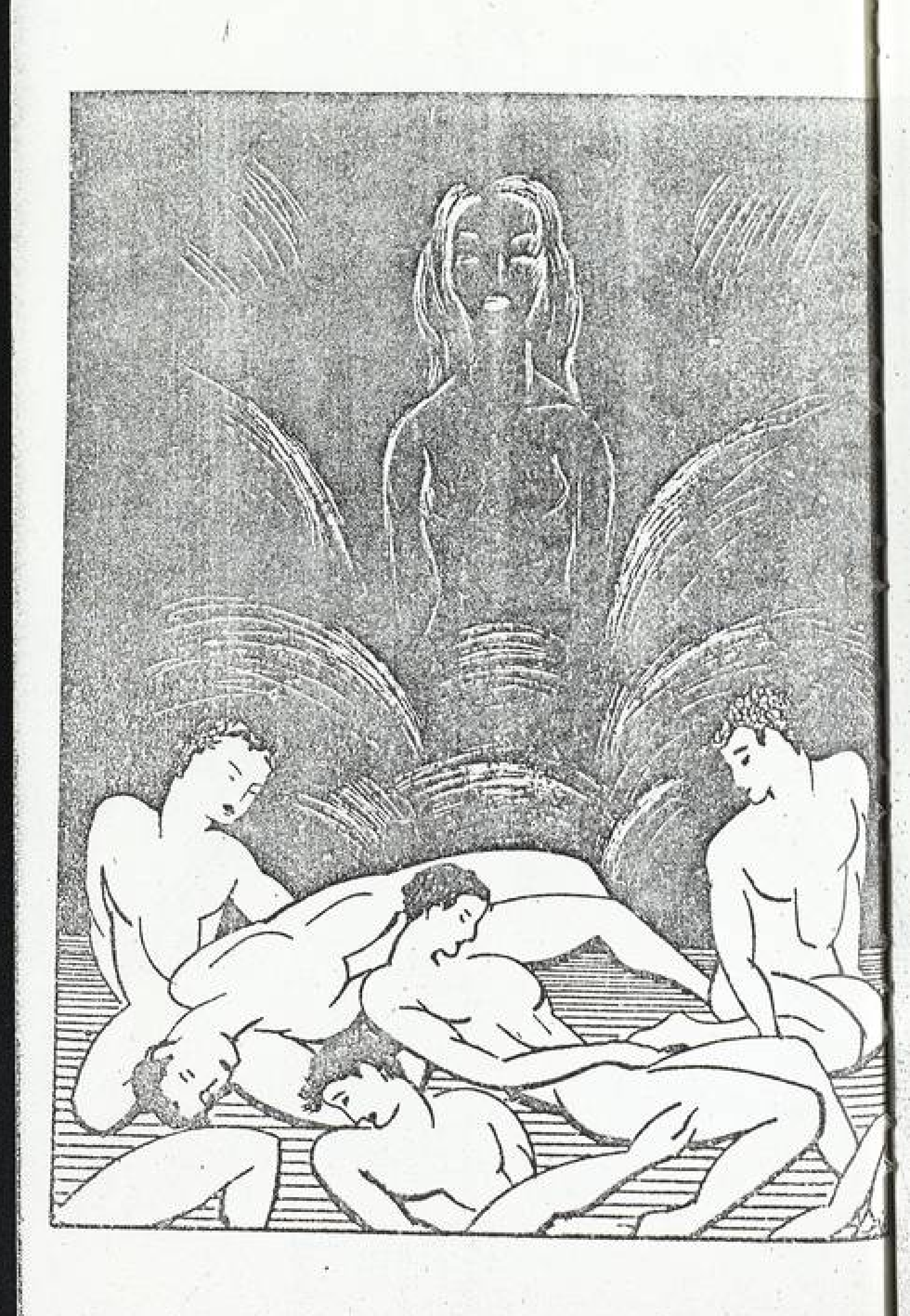
***

تلاشت سكرة اللذات فاخلع
على عرس المنى ثوب الحداد

لعمرك لن تنام على فراش
تريحك فيه أشباح البلاد !

١٩٤٣





عرس المجد

ألقيت في الحفلة التذكارية التي أقيمت في حلب ،
ابتهاجاً بجلاء الفرنسيين عن سوريا

يا عروس المجد ، تيهي واسحبي
في مغانينـــا ذيول الشهب ،

لن ترى حفنة رمل فوقها

لم تعطّر بدما حرّ أبي

درجَ البغيُ عليها حقبةً

وهوى دون بلوغ الأرب

وارتمى كبرُ الليالي دونها

ليّنَ الناب ، كليلَ المخلب

لا يموت الحق ، مهما لطمت

عارضيه ، قبضةُ المغتصب !

***

من هنا شقّ المدى أكمامه

وتهادى موكباً في موكب

وأتى الدنيا فرفّتْ طرباً

وانتشت من عبقه المنسكب

81

وتغذّت بالمروءات الـتي
عرفتهـا في فتاهـا العربي

أصيدٌ ، ضاقت بـه صحراؤه
فأعدّتـه لأفـق أرحب

هبّ للفتح ، فأدمى تحتـه
حافرُ المهر جبيـنَ الكوكب !!

وأمانيـه انتفاضُ الأرض من
غيهب الذلّ ، وذلّ الغيهب

وانطـلاق النور حتى يرتوي
كل جفن بالـثرى مختضب

حـلمٌ ولّى ، ولم يُجرح بـه
شرفُ المسعى ونبـل المطلب !

***

يا عروسَ المجـد ، طال الملتقى
بعـدما طـال نوى المغترب

سكرتْ أجيالنـــا في زهوها
وغفتْ عن كيد دهر ٍقلّبِ

وصحونـــا ، فـاذا أعناقنـــا
مثقـلات بقيود الأجنبـي

فدعوناكِ فـلم نسمع سوى
زفرةٍ من صـدرك المكتئب

قد عرفنـا مهرك الغـالي فـلم
نُرخص المـهرَ ولم نحتسب

فحملنـــا لك ، إكليل الوفا
ومشينــا فوق هـام النوب

وأرقنـاهـا دمـاء حرّة
فاغرفي ما شئت منهـا واشربي !

وامسحي دمع اليتـامى وابسمي
والمسي جرح الحزانى ، واطربي

نحن من ضعف بنينـا قوةً
لم تلن للمـارج الملتهب

82

كم لنـا من ميسلون نفضتْ
عن جناحيهـا غبـارَ التعب

كم نبتْ أسيافنا في ملعبٍ
وكبتْ أجيـادنا في ملعب

من نضـال عـاثر مصطخب
لنضـال عـاثر مصطخب

شرفُ الوثبة أن ترضي العلى
غُلب الواثبُ أم لم يُغـلب !!

***

فالتفتْ من كوّة الفردوس يا
فيصل العليـاء وانظر واعجب

أترى كيف اشتفى الثـأرُ من
الفـاتح المسترق المستلب

وطوى ما طال من راياتـه
في ثنـايا نجمـه المحتجب

ما نسينا دمعة عاصيتها
في وداع الأمل المرتقب

رجعتْ بالأمس سكرى ألمٍ
فاسلها اليوم سكرى طرب !

يا لنعمى ! خففّ في أظلالها
ما حملنا في ركاب الحقب

أينا جال بنا الطرف انثنى
وطيوفُ الزهو فوق الهدب

هذه تربتنا ، لن تزدهي
بسوانا من حُماةٍ نُدُب

فلنصن من حَرَم الملك لها
منبرَ الحقد ، وسيفَ الغضب

ولنُحل حنجرة الشدوِّ بها
بين أطلال الضحايا الغيَّبِ

ضلت الأمة إن أرخت على
جرح ماضيها كثيفَ الحجب !

83

***

ما بلغنا بعدُ، من أحلامنا
ذلك الحلمَ الكريم الذهبي

أين في القدس ضلوعٌ غضة
لم تلامسها ذنابى عقرب ؟

وقف التاريخ في محرابها
وقفةَ المرتجف المضطرب

كم روى عنها أناشيد النهى
في سماء العالم المستغرب

أي أنشودة خزي غصّ في
بثها بين الأسى والكرب

ما لأبناء السبايا ركبوا
للأماني البيضِ أشهى مركب

ومتى هزوا علينا رايةً
ما انطوت بين رخيص السَّلَب ؟

ومن الطاغي الذي مد لهم

من سرابِ الحق أو هي سَبَب ؟

أو ما كنا له في خطبه

معقلَ الأمنِ وجسرَ الهرب

ما لنا نلمح في مشيته

مخلبَ الذئب وجلدَ الثعلب

يا لذلّ العهد إن أغضى أسىً

فوق صدر الشرف المنتحب !

يا روابي القدس ، يا مجلى السنا

يا رؤى عيسى على جفن النبي

دون علياك في الرحب المدى

صهلةُ الخيل ووهجُ القضُب !

لمّت الآلام منا شملنا

ونمتْ ما بيننا من نسب !

فإذا مصرُ أغاني جلقٍ

وإذا بغداد نجوى يثرب

84

ذهبتْ أعـــلامها خافقـــةً
والتقى مشرقهــا بالمغرب

كلما انقضَّ عليهــا عاصفٌ
دفنتـــه في ضلوع السحب !

بورك الحطبُ ، فكم لفَّ عـلى
سهمه أشتـــات شعب مغضب

***

يا عروسَ المجــد حسبي عزة
أن أرى المجد انثنى يعـــتز بي

أنا لولاهُ لـمــا طوَّفتُ في
كل قفرٍ متوامٍ مجـــدب

رُبَّ لحنٍ سال عن قيثــارتي
هزَّ أعطـــاف الجهاد الأشيب

لبـــلادي ، ولروّادِ السنـــا
كلُّ مـــا ألهمني من أدب !

١٩٤٧

هذه أمتي !

ألقيت في حفلة افتتاح دار الكتب في حلب
بعد العدوان الفرنسي

ما صحا بعدُ من خمار زمانه
فليرقه بالشدو عن أشجانه

ما وعى الأمنيات إلا طيوفاً
خفقت وانطوت على أجفانه

غمزته عرائس العيش إغراءً
فلم تستبح حمى عنفوانه

شاعر لو شكا الحياة لكانت
سروات الملوك من ندمانه

85

أقسم المجد أن يمر عـلى الأرض
ونجوى الاباء خلف لسانه

فالعبي يا عواصف الدهر مـا
شئت فلن تجرحيه في وجدانه

رب شادٍ على الظما ، أسـلم
الروح ، وروّى الأجيالَ نبعبيانه

***

ما دهى الشعر بعد رقص لياليه
النشاوى ، على صنوج قيـانه

وخشوع السمار ، في النـدوة
المعطار ، بين الأبكار ، من ألحانه

تلك أوتاره مفجعة الأصـداء
منثورة عـلى عيـدانـه

لامستها أنامل ، يرعف العوسج ،
لو أطبقت ، على أغصانه

فهوى الشعر عن مشارفه الزهر ،
وأغفى عـــلى رؤى أحزانــه

كان وقفاً على النبوغ ، وكانت
روعــة الشيء ، وضعه في مكانــه

***

عاد للدوح عنـدليبك يا شعر ،
ومــات النعيب في غربانـــه

وتغـــنى حنانــــه ، فتمشى
في ضمير الشهباء ، رجع حنانــه

فاشرأبت ، وفي تساؤلها شوق ،
تضيق الأحنـــاء عن كتمانه

وأطلت على الزمان ، ومـا
أقساه ، في عرفه وفي نكرانه

لمحت فوقه معـــين نعيم
يستقي المؤمنون من فيضانه

86

فتجلى لها شباب علاها
يا لورد، يرف بعد أوانه

يا لذاك الصبا، وما زرّت
الأنجمُ من عروة، على أردانه

تلك فتيانها أباح لها المجد
ركوب الخطوب، في ميدانه

وأبو الطيب، النفاثة إدلال،
إلى الصيد من بني حمدانه

يخلع الخلد زأرةً وهديلا
من مزامير زهوه وافتنانه

وعلى السرج، سيف دولته
الندب، يزج الجهاد في طيلسانه

وغبار الحروب، تجبله الأيدي،
وساداً يلف في أكفانه

هكذا العلية الرجال، فلا
صفق في موطن، فؤاد جبانه

***

ذاك عهـــد ، لولا ذهولك يا
شهباء ، لم تقـدري على نسيانـه

عزت الأم بالبنـين ، اعـتزاز
الروض ، بالباسقات من أفنانه

عثرات الأجيـال ، قاصمـة ،
دكت ، بناء الفخار من أركانه

إنمـا ينفض الغبـار ويبقى
الجوهر الحر ، في صفا لمعانـه

ما انتهى إرثنـا الرفيع ، ولا
سلت طيوف النبي من قرآنه

يا لذكرى ، تلفـّت المجد ، ما
بين يديها ، إلى ربيع زمانـه

يوم هزّ البـــدوي معوله
الصلد ، وأهوى بـه على أوثانه

87

والمروءات وهج جبهته السمراء ،

والأمنيات فيض بنانه

فتهاوت على عباءته الدنيا

ورفت على صهيل حصانه

فاذا الشرقُ للعروبة طود

تتشظى النجوم فوق رعانه

كل صرح للحق ، في الأرض باق

نحتته العلياء من صوانه

يا لذكرى ، أغفى ، على خجل منها

كريم النجار من عدنانه

مزق الدهر شمله وطوى ما

كان من عزه ومن سلطانه

ورماه ، إلى وجوم الليالي

وسؤال الغريب عن أوطانه

أين ؟ لا أين ، موئل عربي

يمرح الحر في ظلال أمانه

نعب البغي وهو يضرب فيـــه
ويروّي ثراه من أضغانـــه

ونعاني خزيان ، عن هدم حب
تتلاشى الأبعـــاد في ميزانه

أي جرح ضج العراق عليـــه
ما تلقى الأساة من لبنانـه ؟

***

يا بلادي ، ناجـــاك من وقف
الخلد وأصغى الى صدى تحنانـــه

كاد أن يرخص المـــدامع في
الأرزاء ، لولا الحياء من إيمانـــه.

ما الجبان الذي حنوت عليه
وسكبت العزاء ملء جنانـــه

عرفته الهيجاء ، أنـــذل مَن فر
وأشقى من جرّ ذيـــل هوانـه

نام في فيئك الكريم ، حيياً
ودموع المتـــاب في أجفانـه

يشتم الغفلة التي ذقت منهـا
ما يذوق القطيع من ذؤبانـه

ليس يدري الجزار ، ما الخنجر
المسنون ، إلا إن حزّ في شريانه

فتبسمتِ ، والاباء بعينيـك
تذوب الأحقـــاد في غفرانـه

وتهاديت في انتظار صباح
يستحم الوجود في إحسانه

ما لذاك اللهيب ، تطفو المروءات
عليــه ، وترتمي في دخانـه

رحم الله هـتلراً يا فرنسـا
كنت أشهى إمائـه وحسانه

أولم تهتكي على قدميـه
ما هفت كل غادة لصيانه

كم تلوّيتِ في لياليـــه سكرى
بين حمّى شفاهـــه ودنانـــه

فدعي الزهو ؛ إنمـــا الزهو
للجانيه من حد سيفه وسنانـــه

واغضضي الطرف أنتِ أم "لشعبٍ
ليس ديغوله سوى بيتـــانه !

***

وسلوا القدس هل غفا الشرق عنها
أو طوى دونهـــا شبا مرّانه ؟

أهتافٌ خلف البحار ، بصهيون ،
وحدبٌ عـــلى بناء كيانه ؟

ومن الهـــاتف الملحّ ؟ أحرٌ ؟
أين صدق الأحرار من بهتانـــه ؟

أين ميثاقـــه ؟ أتنحسر الرحمة
في دفتيـــه ، عن عـــدوانه ؟

89

يا لـــذل العهود ، في فم مَن

أجرى ، على عزهـا دما فرسانه

إي فلسطين يا ابتسامـــة عيسى

لجراح الأذى على جثانـــه

يا تثني الـــبراق ، في ليـــلة

الاسراء ، والوحي ممسك بعنانـه

لا تنامي خضيبة الحـــلم خوفاً

من غريب الحمى ومن أعوانـــه

إن للظلم ، جولة ، فدعيـــه

ربّ حـــاوٍ رداه في ثعبانـه !!

***

هـــذه أمتي ، فيـــا لشراع

يتلقى العبـــاب في هيجانـه

علمتـــه الأنواء أن يزدريهـا

ويجر المرسـاة في شطـــآنه

١٩٤٥

يا رمل!

ألقيت في ذكرى المولد النبوي في الأسبوع الذي
أعلن فيه الرئيس روزفلت ؛ أن
الميثاق الأطلسي ، كفيل الحريات
الأربع ، لا أثر له في الوجود ،
وكانت المراقبة حذفت بعض مقاطع
من هذه القصيدة لم يذكرها الشاعر
فأثبتت كما نشرت :

يا رملُ ، ما تعبَ الحادي ولا سئما
ولا شكا في غوايات السراب ظما !

على وجومِكَ من نجواه أخيلةٌ
شقّ الفتونُ بها أكمامه ونما

كأنما من وراء الغيب هاجسة
فضتْ على سمعه السر الذي كتما

فرنح الكونَ في لألاء أمنية
عذراءَ ما عرفت أرضاً لها وسما

٩٠

مرت طيوفاً على الدنيا فما غمست
فيها جناحاً ولا جرّت بها قدما

حتى إذا طالعتها مكة، اختلجت
شوقاً وسالت على أجوائها نغما

فلاح أحمدُ في أعراس دعوته
يسلسل الوحي إن صمتاً وإن كلما

ويسحب المرودَ الأسنى على مقلٍ
ما زادها النور إلا ضلةً وعمى !

عناةٌ شقيتْ هوجُ النفوس بها
فعربدت صلفاً واستكبرت شمماً !

والحلم إن لم يعرّ المرء من درنٍ
فالسيف أكرم منه إن كساه دما

فأرسل الصرخة الزهراء فانطلقت
كتائب الله ترعى البيت والحرما

فما هوى صارمٌ إلا رمى عنقاً
ولا هوى معولٌ إلا رمى صنما

ولا بدت سُدّة إلا تسنّمها
مؤذنٌ لم يدع في مسمع صمما

فتاب من لم يكن بالله معتقداً
وثاب من لم يكن بالله معتصما

فأقبلت سَروات العرب خاشعة
تجلو بإيمانها عن دينها التهما

وتحمل الشهبَ في راحاتها قضباً
والخيل تعلك في أشداقها اللجما

وأحمدٌ يتلقاها وبسمته
ترد كل فمٍ للمجد مبتسما

والفتح يغمزها حتى إذا وثبت
لم تُبق في الشرك لا عرباً ولا عجما

فرف في كل مجلى للهدى علمٌ
بطلّ في كل مجلى للفدا علما

فازّينت بالبناة الزُهر، مملكة
ألعدل ما شادها، والحق ما دعما

91

كم طوقت شيع الدنيـا بكعبتها
وهزت الشمس عن هاماتهم عَمما

نعمى أضاءت على الأيام وانطفأت
فيا ليالي ادفقي من بعدها ظُلما

ويا جدوداً غواها الزهو وافتتنت
أعطيته من بقايا الارث ما عظما

ولا ك أحمدُ من آياتـــه سنناً
فما رعيت لها عهـداً ولا ذمما

المجـــد في النفس لا يشفى له نهمٌ
لو لم يجع فوق نهديهـــا لما فُطما

***

ويا نجيعاً على التـــذكار منسرباً
هل من ضمـاد يردّ الجرح ملتئما

تلك الربوع التي نام الفخـــار بها
لم تلقَ من حولها إلا الذي هدما

تهفو اليها فيبدو البغي محتدماً
والذل محتكماً والعز منهزمـــا

وللعلوج عــلى أنقاضها سُرُرٌ
لو استطاعت لأهوت فوقهم رُجماً

أرخى الزمان اليهم من أعنتـه
وسلّ من دربهم أحداثـه الحُطما

حتى إذا سكروا في حانه انتفضت
أهواؤهم وذكت أنيابهم ضَرَما

وسافكوا الدمَ عن مرعى فريستهم
من الشعوب وصبوا كيـدهم حمما

والنصر بينهمُ في لهوه طَرِبٌ
يُعطي ويحرم من أعطى ومن حرما !

فقام منهم فريق حـــائر تعبٌ
يستصرخ الشـيَمَ العرباء والهمما

ويعرض الغد في ميثاقـــه صوراً
تندى أناملهـــا من رقة كرما !

92

أطلَّ يلثم جرح الأرض فاختضبت
شفاهه بدمـاها بعـد ما لثما !

وقال يا أرض لا تستعبري ألماً
فقد نحرتُ على أذيالك الألمـا

أنا الذي سلت الأحقادُ خنجره
فراح يغمده في صـدرها ندما

كم أطرق الحب في جنبيّ مكتئباً
وعربـد البغي في كفيّ منتقما

إذا تلفتُّ لم ألمـح سوى أمم
تمشي على كرهها في موكبي خدما

تلك الليالي انطوت يا أرض فابتسمي
واستمطري لأزاهير العـلى دِيَما

فسمّرت مقلتيها فيـه ذاهلةً ،
أتطلب البرءَ ممن أوجـد السقما !؟

أترقص الطير في أشراك صائدها ،
ويحرس الذئب في أعطانهـا الغنما !؟

حلمٌ تناثر أطيافاً منضرةً
ما كان أكرمه لو لم يكن حلما ؟!

وما المواثيقُ إن فاه القويّ بها
ونصّب الختل في أقداسها حكما ؟!

ما كان أغناه عن تزوير غايته
من يحمل السيف لا يبري به قلما ؟!

***

يا رمل... رجّع حداه في مسامعنا
هل حمّلَ الركبُ بشراه وما علما ؟!

قيثارة الوحي لم تجرح لها وتراً
أيدي البلى ولم تحبس لها نغما

أمن سنا أحمد حر سنطلعه،
وتطلع المجد في برديه مضطرما ؟؟

فيرجع الأرض ريّا بعد ما يبست
ويمتطي الدهرَ غضاً بعد ما هرما ؟!

١٩٤٥

93

عاصفة

ذهب إليها ليقتلها ...

إشربي ! إشربي ، بقـــايا خمور
أسأرتهـــا يـد الأسى في إنائي

إشربي ، وارقصي ، وغني وهزّي

مزهرَ اللهـــو في يد الاغراءِ

إشربي ، وانضجي اللذائذ حتى

تتولاك رعشـــة الاعيـــاء

أتخافين ؟ أقـــدمي ، لا تخـافي

أقدمي ، وانفضي بقايا الحيـــاء

إن هذي العروق في جسمك البضّ

أنـــابيبُ شهوة ، لا دمـــاء

ما لعينيـــك تبكيان ؟ أهذا

أول العهـــد ، منيتي ، بالبكاء

إحبسي هـــذه الدموعَ ففيهـا

تتراءى أشباح ماضي شقـــائي

كم تناسيتُ ، في تناثرها ، جرحي

وولّيتُ ، دافنـــاً كبريائي !

94

إن هذا اللقاء أكرم ما جاد

به الدهر ، بعد طول جفاء !

***

لا تقولي ، لقد ظلمتُ ، فهذي

لطخة الاثم في صحيفة أمسكْ

تخجل العينُ أن تمرّ عليها

وترى خلفها خوالج حسك

أي رجس هفا إليكِ ولم تعطيه

ما شاء ، يا قتيلة رجسك ؟

كفكفي الدمع ، لن يجيء بنعمائك

دمعٌ ، ولن يروحَ ببؤسك

أتخافين موردا يقذف الوحشة

والرعبَ ، في دجنّة رمسك

ويسلّ الأشباح من سُرُر البغي

فتنقضّ حوّماً حول رأسك

فتضرعتِ ، بعد ما حجّرت قلبي

الليـــالي ، فما يلين ليأســك ...

أنفضي الكفَّ من صباك وصبي

فوق ترب الردى ثمالةَ كأسك

آن لي أن ألفّ جرحي وأروي

غلة النفس ، من عصارة نفسك

***

انهضي ، وانظري إليّ مليــاً

يا سرابَ المدلّـــهِ الظمآن

هل تركتِ الشباب فيّ شبــاباً

يتهـــادى ببرده الفينان

إقرأي ، في غضونه ، شقوة العمر

ففيهـــا ما دقّ عن تبيـــاني

لا الأماني تعوده مثلمـــا كنّ

قديماً ، ولا خيـــال الأمـــاني

95

هذه زهرة الحيـــاة تلاشت
وتبقّى أشواكها في بنـــاني

يا لجهـــلي ! فكم لمحت بعينيك
حيـــاةً عـــلويةَ الألوان

واتخذت العهود منك جناحيَّ
لأفقٍ عـــذب الرؤى ريان

فتخيلتُ ، أنـــني أصفع الدهر
وأجـــني من قفره ريحـــاني !

فاذا بيَ ، صفر اليـــدين ، مكبٌ
فوق أشـــلاء حلمي الفتان !

***

ويح نفسي ! أهـــذه ذكرياتٌ
أم أفـاعٍ تفحّ في جانبيـــا !

إبكي الآن ، يا بغيّ ، وهذي
قبـلات الوداع من شفتيـــا !

ما على محجريك ؟ أيّ خيال
أتلقاه مالئاً محجريّا !!

فيه مني ظلّ الهيولى ، وفيه
من ضلالي ، ما كان عني خفيّا !

ما أجيب الجمالَ ، إن مرّ بي يسأل
كيف انتبذتِ أفقاً قصيّا !!

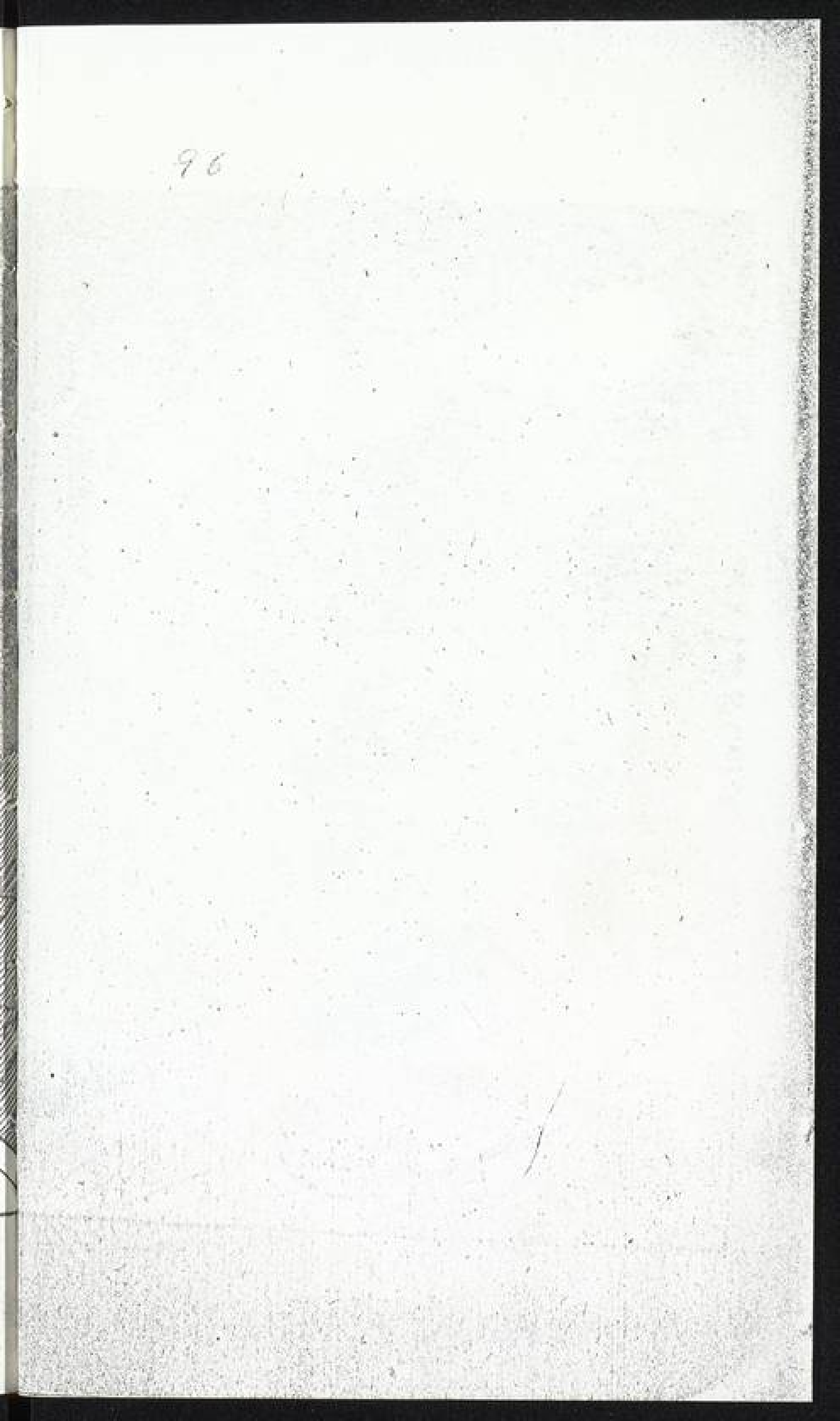
أيهزّ الصباحُ مضجعك المخملّ
طيباً ، فما يرى منكِ شيا !!

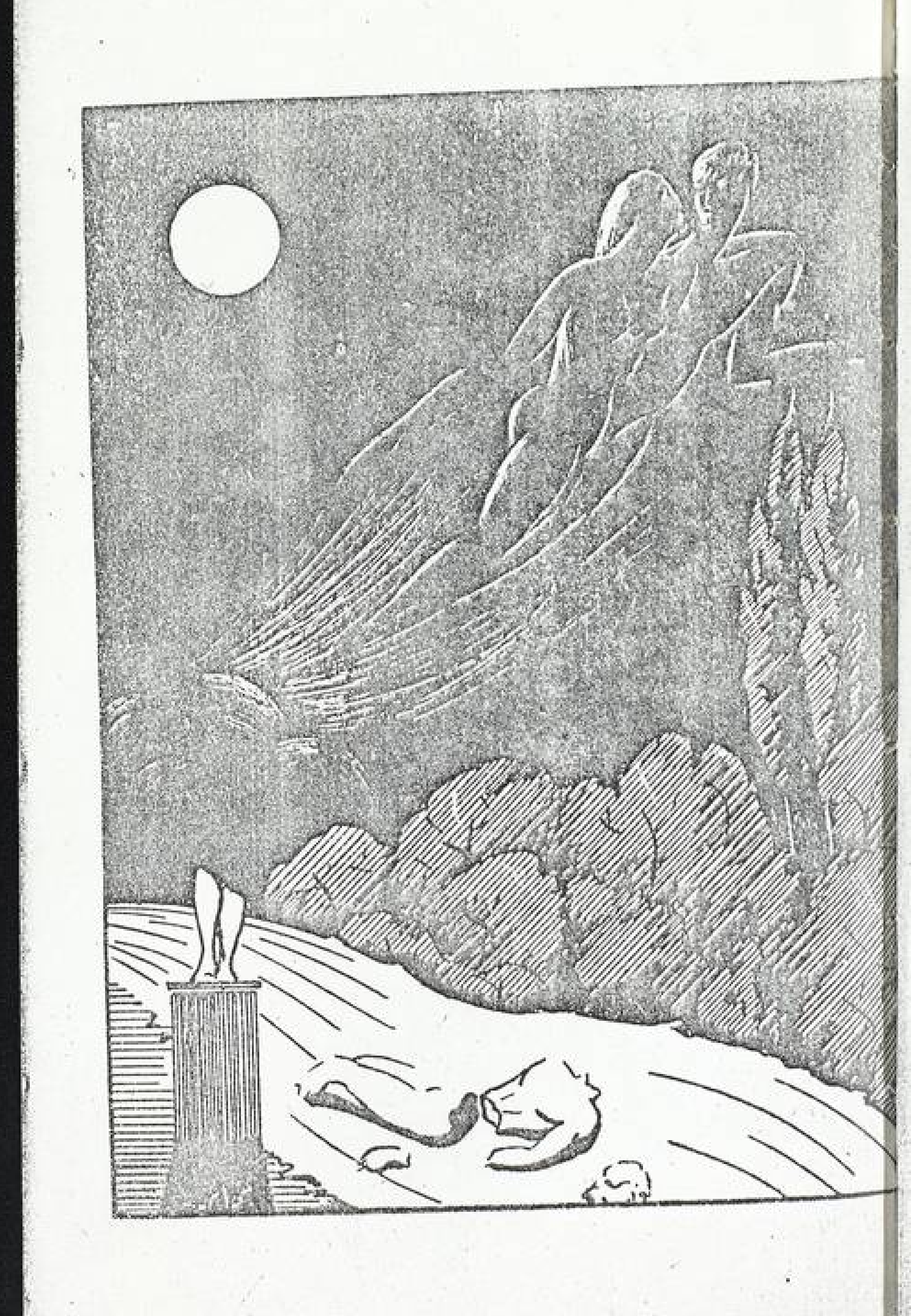
ما لكفيّ ترجفان ؟ وما للدمع
يهمي ، بالرغم من مقلتيّا !!

إنهضي ، إنهضي ، فلستُ أطيق الحسن
تذوي أزهاره في يديا !!

أنتِ أولى بالعيش مني ، فسيري..
واتركيني أطوي الحياةَ شقيّا !!

١٩٣٥





فراق

إلى الشباب في جماله وكرمه وكبريائه
— إلى روح جميل محمد مراد —

كيف تطوي برد الصبا الريانِ
ولياليك أكؤسٌ وأغاني

ومغاني أيامك الزّهر مهد
لوصال وملعبٌ لأماني

ودروبُ الحياة لو شئتَ كان
الصخرُ فيها منابتَ الريحان

***

كيف تطوي برد الصبا، وحواليك
ضلوع عـلى هواك حوان

وعيون لم تختلج في شهي
النوم إلا عن طيفك الفتان

أنفضت الأذيـال من عبق
السير على كل معشب فينان ؟

ومسحت الشفـاه من قبلات
الحب والشوق، والرضى والحنان

وتصامت عن نشيد فتون
أنت ألفاظـه وأنت المعاني

أيعود الربيع، بنقـل فوق
الأرض أقدام زهوة وافتتان ؟

ويموج الجمال، أنّى هفـا
قلب، وأنّى تلفتت مقلتـان

٩٨

وتسيل الحياة مشبوبةَ الأنفاس
خلفَ المنى بغير عنانِ

أين منك الربيع ، يا ناسجاً من
طيب دنياه أفجعَ الأكفان

كم هديٍّ عذراءَ تحت الخدرَ
بفيضٍ من أمنيات حسان

وأذلّت جوعَ الصبا ، بتثنيك
خيالاً ، في جفنها الوسنان

واكتفت منك أن تحبك للحب ،
وأن تنطوي على الحرمان ..

أي عذراءَ مزقت حجبَ
الغيب وجازت مواكبَ الأزمان

وأطلّتْ عليك ، بدعةَ إغراءٍ ،
سخيِّ الأظلال والألوان

فحسرت الشفاهَ عن بسمةٍ
أندى وأسنى من بسمة الأيمان

وقذفت النداء ، في لهفة

العاني وشوق المدلّهِ الحيران

فترامت عليك نشوى نعيم

لم يَجُس قدسه هوىً إنساني

فاذا الطيب بين فجوة نهديها

يريك الحياةَ حلمَ جبان

فتلوّيتَ ساكباً قلبك الحرّان

في كأس قلبها الحران

وتهاديتما ورَوْقُ الثريا

عَبِقٌ من مساحبِ الأردان

والزغاريد من كوى الخلد تهمي

في سماء النجوم سيلَ تهاني

أوَراءَ الردى يقام لك

العرسُ غريبَ الأوتار والألحان

ثم تكلمْ فان صمتك دمعٌ

في جفوني وعقدةٌ في لساني !

٩٩

ويح نفسي ، ركبتُ أجنحةَ
الظن ولم ألتفت إلى أشجاني

لست أدري إلا نواك ، فلن
ألقاك من بعده ولن تلقاني

غبت عني ، إلا خيالاً حبيباً
للتناجي وليس للسلوان

***

يا مغاني لبنان ، هل هجع
السّمارُ وانفضّ عِقدُهم يا مغاني

أين نادٍ لنا سهرتِ عليه
والليالي مطروفةُ الأجفان

غمرته المنى ، فليس لنا ما
نتمنى ، في ظله الجذلان

كلّ أرجائه من المتع البيض
ثغورٌ ، تصيح : يا من يراني !

كم أوينا اليه نغسل فيه
صدأ العمر من غبار الزمان

ما له انفضّ سامراً ونقالاً
وتعرّى من الحواشي اللدان

كيف ألقاه والخيالات شتّى
بين مغضٍ على السكون وران

يجفل الطرفُ في حماه، ويرتدّ
على مقلتي رؤى أحزان

تلك أشلاؤه يكفنها الصمتُ
ويلقي بها إلى النسيان

فكؤوس الندمانِ ليس عليها
أثرٌ من مراشف الندمان

وبقايا الأوتار مخنوقة
الأصداء، منثورة على العيدان

كان نادٍ لنا، فيا روعة
الأسرار نامي في حجرة الكتمان

100

لا تطيق الحديثَ عن رقـة
الجـدول أذنُ المشرّدِ الظمآن

***

يا حبيبي سالتْ حناجر تحناني
فهـل أنت سـامع تحنـاني

أفراقٌ بلا وداع وعهـدي
بك جمّ الوفـاء سمح الجنان

أتخوفت أن أرى عربـدات
الداء في جسمك العليل الواني

وانكماشَ الشفاه عن بسمات
عندها السخط والرضى سيان

فاعتزمتَ الرحيلَ في نجوةٍ من
نظرات الأحباب والأخدان

كان ما شئت يا جميلُ، فأطيافُك
تجـلى شبابكِ الضحيـان

ما اشرأبت إليّ إلا تلمستُ

بكفي ما انهدّ من بنياني

وتوالت مُنى حياتيَ أسرابَ

مسوخ محمومة الهذيان

***

يا حبيبي هذي خطاك على

دربي ، وهذا صداك في آذاني

ليَ في كل وقفة وجمةُ

المشدوه بين الرؤى وبين العيان

جبهتي من ندى الشروق وقلبي

من نجيع الغروب يستقيان

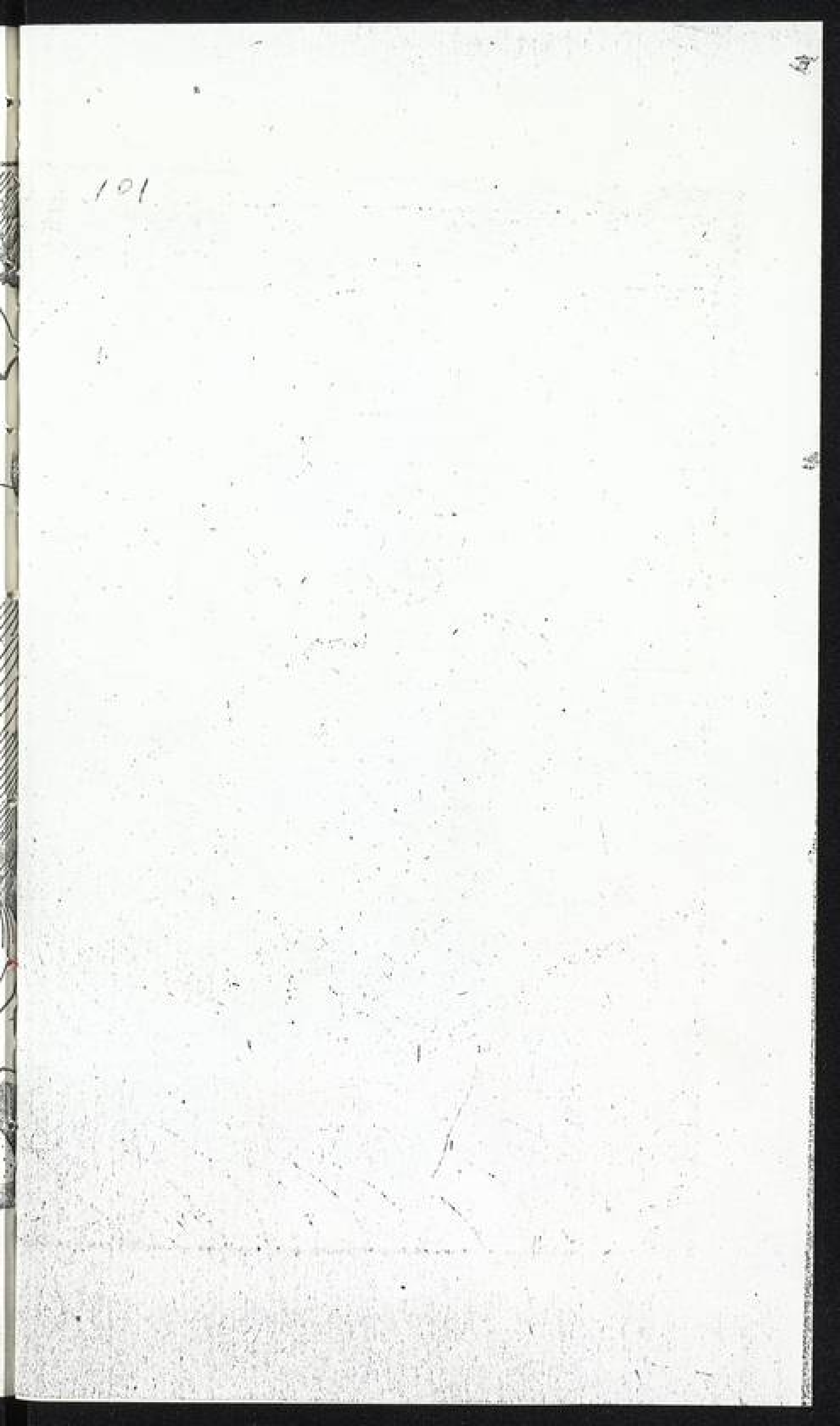
فاطمئني يا نفس ، لن تبلغي في

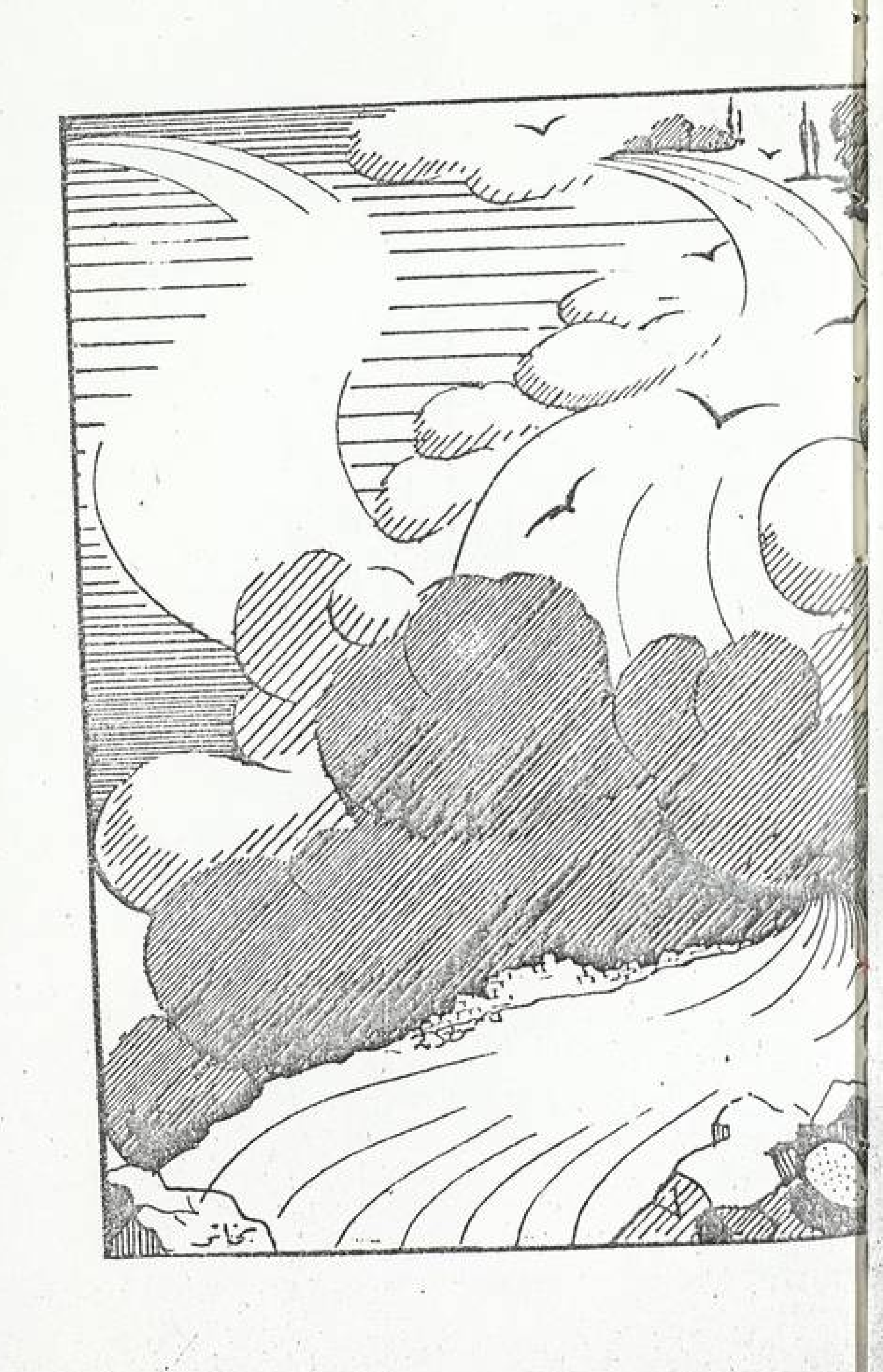
آخر الشوط غيرَ دار أمان

سكرَ الدهر ، فاسكري ، ودعيه

بالرضى يستردّ ما أعطاني

١٩٤٤





دروب

إلى الدكتور سنية حبوب

وقفتُ أمامَ دروب الحيـــاة
منـــارَ الأماني، شريدَ الفِكَرْ

فمرّت مواكبُ رُوّادهـــا
نخبٌ ، إلى الموعـــد المنتظر

وخلفَ خُطاها انتفاض التراب
وليس لهـــا فوقـــه من أثر

نسرتُ عليها ، ودنيــا الرضى
أبددّ من ليلهــا ما اعتكر

وألفيتني بعـــد طول السّرى
جناحاً أصاب المدى فانكسر

لمستُ عـــلى ريشـــه المرتمي
تهاويل حـــلم مضى واندثر

فتلك ليـــالٍ ... على كبرها
تخطّفتُ منهـــا أعزّ الثمر

وأرسلتهـــا في شفاه الحيـاة
نشيدَ فتونٍ ، ونجوى سَمَرْ

وهذي ليالٍ ... على زهدهـــا
أرتـــني النعيم غريبَ الصور

فرحت أسائـل عن موعـــدٍ
أضمّـــد فيـــه جراح البشرْ

١٩٤١

103

شقية

التقى بها على ظهر الباخرة فكانت
موضع احترامه ... وما زالت ...

خنثتُ خطايَ الحمرَ عن هيكل القدس
وفي حمأة الأرجاس كفَّرتُ عن رجسي

وما استعذبتْ نفسي الشقاء وإنما
وجدت عزاءَ النفس أقتلَ للنفس

دعوني أعب السم في أكؤس الورى
وأقضي على تلك البقية من حسي

كفاني نفضتُ الكفَّ من بائع المنى
وبعتُ صبايَ الغضّ بالثمن البخس !

***

وما من ضحـــايا النار ، حسناء كاعب
علیها جلال الحسن في العري واللبس

تمشّتْ وأنفـــاس المجامر حولهـــا
ومن خلفهـــا الكهانُ خافتة الجرس

ولمـــا ذكت في المذبح النـــار تمتمت
مصليـــةً والضرسُ يُقرعُ بالضرس

بأهـــلكَ مني عند فضّ مـــآزري
عـــلى مذبح اللذات للمُصبح المُمسي !

***

يؤرقـــني المـاضي فأنشر طرســـه
وألسنـــة الآلام تقرأ في الطـــرس

وأهجس والأشبـــاحُ تعتام ناظري
فيرتـــدّ إشفـــاقاً فأقصر من هجسي

وأزجـــر دمعي أن يثور وزفرتي
فلا دمعتي تُســـلي ، ولا زفرتي تُنسي

104

تغوّ ابتساماتي عيونَ أخي الهوى
وخلفَ ابتساماتي جراحٌ من البؤس

طلعت على الأيام والطهر حارسي
يحوك على عِطفيّ جلبابه القدسي

وضجّ بأعطافي الغرور فلم ألن
لصرخةٍ ولهان تغضّ باليأس

كنرجسة في الحقل تلثم ساقها
ثغورٌ من الأزهار طيبة الغرس

ولكنها ، والكبرياء تهزها ،
أبت أن ترى في غيرها رفعةَ الجنس

حنتْ رأسها كيما تقبل ظلّها
غروراً ، فماتت وهي محنية الرأس

***

ولما رأيت الدهر أزبد فكّه
وكشّر عن أنياب منهرت ظلّس

صحوتُ فلم أبصر حواليّ راحماً

يخفف من بؤسي ويطرد من تعسي

وألقتنيَ الأقدارُ في كفّ أرعنٍ

كما قبضت كف البخيل على الفلس

يبث لي النجوى فيطربني بها

فأبني من الآمال أساً على أس

فكنت كشاةٍ ألفت العيشَ زاهراً

تروح على أنس وتغدو على أنس

يهش لها الراعي فترقص حوله

فيلقمها الأعشاب بالأنمل الخمس

فما اكتنزت حتى تخطّف عنقها ،

بقبضة ذي حقد ومدية ذي هَمس

***

فولّت أمانيّ العِذابُ تلاشياً

كما يتلاشى الثلج في قبلة الشمس

105

وضاقت بي الدنيا فهمتُ طريدةً
أفتش عن سعدي فيلطمني نحسي!

فما لاح لي إلا دمٌ متلاطمٌ
ففي لجةٍ أغدو وفي لجهِ أمسي

أرى عنده للثأر من فتكة الورى
مناهلَ تنسي ما أجرّع من بؤس

فربّ فتى ما دنس الخزيُ قلبه
نصبت له سهم الاساءة في القوس

عطّيتُ لاستغوائه فتثاءبتْ
بعينيّ أفواهُ الدعارة والرجس!

إذا أنّ هزت رعشة الأنس أضلعي
وأفرحني أن لاح في صفرة الورس

فصرت إذا ما اشتد دائي تركته
لبعدي وإن أبصرت من خلفه رمسي

كما النحلة الغضبى لدى وخز خصمها
تموت ... ولكن وهي مرتاحة النفس!

١٩٣٣

شباب

أشبابُ ، يا زهْو الحياة
ويا نشيد العنفوانْ

دنياك أحلام العرائس
في لياليها الحسان

يكسو الربيع الطلق عطفيها
ويرقصها افتتان

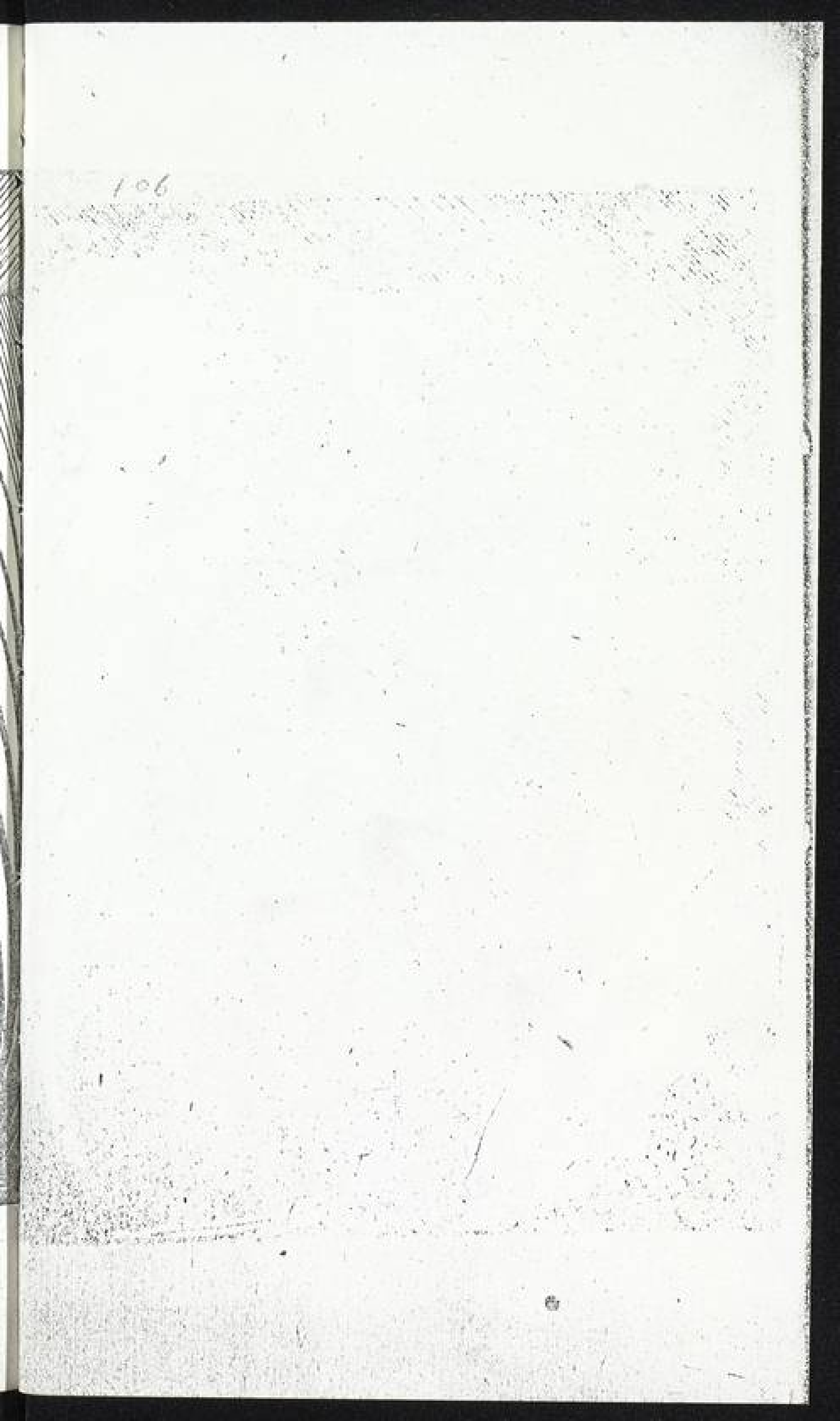
فاجن المنى منها اغتصاباً
واجر محلولَ العنان

واترك صدى ألحانها
ترويه حنجرةُ الزمان

أشباب يا زهو الحياة
ويا نشيد العنفوان

لا كنتَ ، إن أرخيت
معطفك النضير على جبان !!

١٩٣٧





نسر

أصبح السفح ملعباً للنسور
فاغضبي يا ذرى الجبال وثوري

١٣   ١٩٣

إن للجرح صيحة ، فابعثيها
في سماع الدنى ، فحيح سعير
واطرحي الكبرياء شلواً مدمّى
تحت أقدام دهرك السكير !!!

***

لملمي يا ذرى الجبال بقايا النسر
وارمي بها صدور العصور
إنه لم يعد يكحّل جفن النجم
تيهاً بريشه المنثور !
هجر الوكر ذاهلاً ، وعلى عينيه
شيء ، من الوداع الأخير
تاركاً خلفه مواكب سحب
تتهادى من أفقها المسحور
كم أكبّت عليه وهي تندّي
فوقه قبلة الضحى المخمور

١٥٨

***

هبط السفحَ... طاوياً من جناحيه
علــى كل مطمح مقبور

فتبارت عصائب الطــير ما بين
شرودٍ من الأذى ونفور

لا تطيري، جوّابة السفح، فالنسر
إذا مـــا خبرتِــه لم تطـيري

نسل الوهن مخلبيـــه، وأدمت
منكبيه عواصفُ المقــدور

والوقـــار الذي يشيع عليـه
فضلة الارث من سحيق الدهور !!

***

وقف النسر جائعاً يتـــلوى
فوق شـــلوٍ على الرمال نثير

وعجـــاف البغـاث تدفعه
بالمخلب الغض والجناح القصـير

فسرت فيـه رعشة من جنون
الكبر واهـتز هزة المقرور

ومضى ساحباً على الأفق الأغبر
أنقـــاضَ هيـــكل منخور

وإذا ما أتى الغياهبَ واجتـــاز
مدى الظن في ضمير الأثـــير

جلجلتْ منه زعقة نشّت الآفاقُ
حرّى من وهجها المستطير

وهوى جثةً على الذروة الشماء
في حضن وكره المهجور !

***

أيها النسر هل أعود كما عـدتَ ،
أم السفح قد أمات شعوري ؟!

١٩٣٨

صوفين

سرتُ حيرانَ داميَ الأقدامِ
أتحرّى المجهول في تهيامي

كلما لفّني ببردته اليأس
زحمتُ الرجاء في إقدامي

بعد لأيٍ ... طلعتِ في ليلي
الحالكِ نوراً يفيض بالأحلام

فشددتُ القوى وقلتُ لروحي
هذه نبعة الشريد الظامي !!

***

طربَ القلبُ في ظلال أمانيه
وغناكِ خالد الأنغام

ناسجاً فوقك البرودَ الضوافي
من خيوط الالهام والابهام

لا تميطي اللثام عنك فاني
تعِبٌ من عبادة الأصنام !

أتركيني من قبل أن يفضح الفجرُ
بقايا أسرارِ هذا الظلام !!

١٩٣٦

110

شهيد

ألقيت في الحفلة التذكارية في حماه ودمشق للشهيد
البطل سعيد العاص الذي استشهد
في جبل النار في فلسطين

نام في غيهب الزمـــان الماحي
جبـــل المجد والندى والسماح

أسكرته الأجيال ختلا فأغفى
تحت هزج الأعراس والأفراح

حين أنفاسه تموج على الكون
بعبـق النبوّة الفوّاح

وترف الحيـاة فيه على آثار
عبسى من غدوة ورواح

بسمة للنعيم مرت وأبقت
مـا يبقي السكير في الأقداح

فتمشت عليـه دهم الليالي
وكستـه من نسجهـا بوشاح

وطوت سفره العجيبَ الموشّى
بأساطـير عهده الوضـاح

فاذا الأعصر الخوالي مطـافٌ
لخيـالات شاعر صـداح

وإذا الطرف ليس يعـثر إلا
بقيود مغموسـة بجراح !!

ورقــاب محنيــة تتشظى
مزقاً فوق منجــل السفّاح

ليس بدعاً إذا تعــالى وضيع
واستبــاح الحمى الحرام إباحي

قد تحوك الأقــدار من لبدة
الليث وشاحاً للغانيات الملاح !

***

يا ظلام الأجيال قُص جناحيك
فهــذي طــلائع الاصبـاح

مرودٌ تكحل الجفون الكسالى
فأفــاقت عــلى السنا اللماح !

فصحا من عبائه الجبـل الهاجع
واهــتز مفعم الاتراح

وتعــالى صيــاحــه يتوالى
فــاشرأبت نسوره للصياح

زكت في الوكون أفراخها الزغب
وهبّت على أزيز الرياح

وتبارت، عصائباً، فالفضا الرحبُ،
بساطٌ من مخلبٍ وجناح !!

***

غضب البغيُ فانبرى يحشد الهولَ
ويرنو إلى الأذى بارتياح

مُتقٌ فكّي جهنم فسالت
في الروابي لعابها والبطاح !

فاقشعرت من وهجه القلل الصمّ
وأجّت شوامخُ الأدواح

وتدجّى الدخان يحجب عين الشمس
عن مأتم الثرى المستباح !

فتهاوت تلك النسور وأزرت
بالمنايا، على اللظى المجتاح

112

تنشب المخلب المعقّف في البغي
وتزجي المنقار في إلحاح

ولسان اللهيب يلعب بالريش
ويطوي الجراح فوق الجراح

غضبةٌ للنسور، لا النصر فيها
بمتاح ، ولا الونى بمباح !

لم تزحزح تلك المخالب إلا
بعدما جرّدت من الأرواح !

فتلاشى الدخان عن وثبات البغي
في بركة الدم النضاح

وسرى الليل مالئاً جبل النار
سكوناً... لولا نشيد الأضاحي

***

يا دماء النسور تجري سخاءً
بغرام البطولة الفضاح !

أنبتي العزّ سرحةً يتفيّا
بأظاليلها شتيت النواحي

أنت دمع السماء إن لفت الحقلُ
وجفّت سنابلٌ وأقاحي

أي بردٍ خلعته أحمر اللون
على كاهل الجهاد الصراح

فيه إيماءة إلى نهبة العلياء
من قبضة الزمان الوقاح

ليس يبلى على الزمان وللعاص
خيوطٌ في نسجه اللواح

تحفظ البيد ذكريات لياليه
وتهفو لعهده النزاح !

وتحن الغياض في الشام شوقاً
لتثنيه مثقلا بالسلاح

يا شهيد الجهاد يا صرخة الهول
إذا الخيل حمحمت في الساح !

113

أي مهر لم تـــدمِ خاصرتيـه

من حفيف المهماز يوم اكتساح

أي عَوْد ما زغردت لك فيـه

كل مياسة القـوام رداح !

كلما لاح للكفـاح صريخ

صحت لبيك يا صريخ الكفاح

تحمل الحمـلة القوية والايمان

أقوى في قلبك المفراح

فكأن الحياة لم تلق فيهـا

مـا يروّي تعطش الملتـاح

هبـة في يديك كانت ولما

رامهـا المجد. عفتهـا بسماح !

***

وكأني أراك في زحمة الهول

عـلى سرج ضـامر طواح

وأخوك الجسور في القمم السود
مطلٌ على الروابي الفساح

لوّحتْ كفه بمنديله الأحمر
شوقاً إلى اللقاء المتاح

فحسبتَ الأجيال تهتف يا «خالد»
جاهد في فيلق «الجراح»

فترنحت واندفعت وهيهات
يلين الجواد بعد جماح !!

واقتحمت اللظى فكنت مع الصيد
فراشاً على فم المصباح !!

***

إي فتى المجد، إنه العمر، يوم
لخسار، وآخر لرباح !

إن من سامك المنون لقومٌ
لم يجيبوا على الحجى والفلاح

١١٤

كيف زاغت حلومهم فتمشى
البغي ما بينهم طليق السراح

ما عهدنا الانجيل إلا منارا
لسلام وقائداً لصلاح

غمرت آيه الدماء وسُلت
باسمه السمح مديةُ السفاح !

أرخصوا خشبة الصليب وباعوها
وقوداً إلى اللئام الشحاح

وأهانوا مهد المسيح وردوه
على طهره فراشَ سفاح !!

خفروا ذمة العهود وصموا
الأذن عن صرخة المضيم اللاحي

كم وعود معسولة سكبوها
في فؤاد العروبة المسماح

فحشدنا لهم جيوش ولاء
ومددنا أكفنا للصفاح

وسفحكنا الدم الزكي وزيّنا
جبين الرحى بغار النجاح

وأردنا الأسلابَ منهم فكنا
نحن أسلابهم ونحن الأضاحي

***

جبل النار لن تنام كما نمتَ،
جريح العلى كسيح الطماح

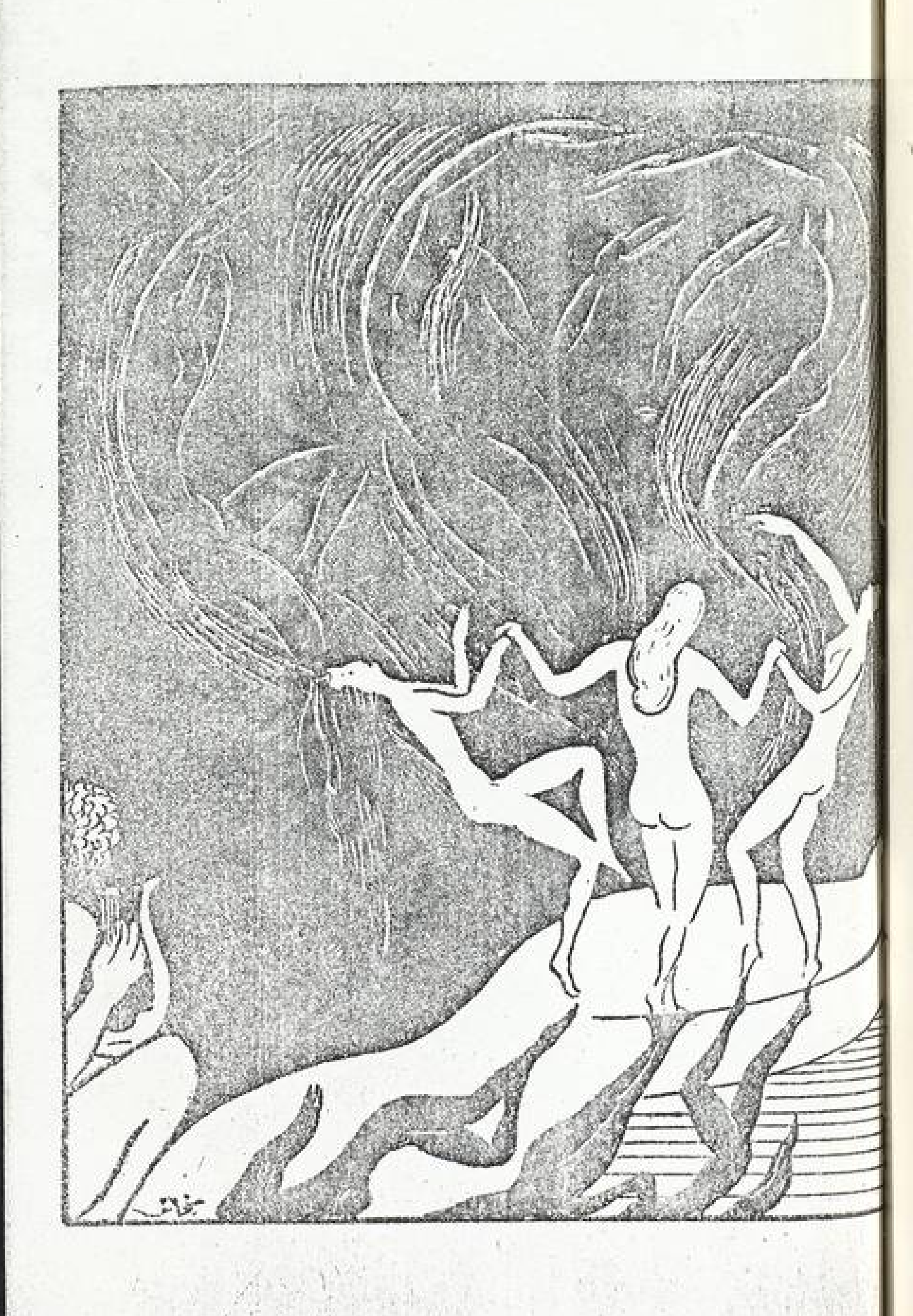
لك حبٌ في قاسيون وصنين
وسيناء ما له من براح

يشرب الخطبَ إن عداك كما تشرب
هوجُ الرجال كأسَ الراح

أنت للعرب كالمنارة في الساحل
لاحتْ لأعين الملاح !

١٩٣٧

115



شاعر وشعر

ألقيت في الجامعة السورية بدمشق في
المهرجان الألفي لأبي الطيب المتنبي

شاخصُ الطرف في رحابِ الفضاءِ
فوق طودٍ عالي المناكب ناءِ

يرقب الفجرَ والندى مالىءٌ برديه
والشعر مـائجٌ في الهـواءِ

شاعر خافقُ الجوانح بالحب
بعيدٌ عن عالم الضوضاء

تتراءى في وجهه المادي،
الواجم آي الوداعة الغراء

وبعينيه بارقٌ قذفته
شعلة الروحِ مبهمَ اللألاء !

نهض الفجر مثقلاً يتلوّى
فوق صدر الطبيعة الخرساء

يتخطّى الربى وئيداً ويهمي
بشتيت الأظلال والأنداء

وثبةٌ إثرَ وثبةٍ، ذائبُ الألوان
فيها وجامد الأضواء

فارتدى الكونُ بردةً من جمال
وتهادى بباسم النعماء

وإذا الطيرُ بين كرٍ وفر
من غديرٍ لروضة غناء

١١٦

صُورٌ أفرغت على أذن الشاعر

نجوى علوية الايحاء !!

***

هبط السهلَ والهجيرة تنقضّ

وتطوي مطارفَ الأفياء !

وتصبّ الخمولَ والسأم الصاخبَ

والصمتَ في فم الغبراء

فصدور الحقول متعبةٌ تلهثُ

في غمرةٍ من الاعياء !

ورؤوسُ الأزهارِ مطرقة تنسلّ

منها انتفاضة الكبرياء !

وقيانُ الغصون ملويّةُ الأعناق

صرعى كآبة عمياء ...

صور أفرغت على أذن الشاعر

نجوى علوية الايحاء !!.

***

بلغ المنحنى.. فجازَ مدى الطرفِ
بحسٍ مفجّــع الأنبــاء !

مأتمُ الشمس ضجّ في كبد الأفق
وأهوى بطعنــةٍ نجلاء

عصّبتْ أرؤسَ الروابي الحزانى
بعصابٍ من جامدات الدمـاء !

فأطلت من خـدرها غادة الليـل
وتاهت في مشية الخيــلاء

وأكبت تحل ذاك العصابَ
الأرجوانيّ باليــدِ السمراء !!

وذؤاباتُ شعرهـــا تترامى
في فسيح الآفــاق والأجواء

وعيونُ السماء ترنو اليهـــا
من شقوق المــلاءة السوداء !!

118

فاذا الكون لجة من جلال
فجرتهـا أنامل الظلماء !

يرسبُ الطرف في مداها ويطفو
ثم يرتد فاقد الارتواء

فتطل الأشباحُ من كوّة الوهم
وتعوي مجنونةً في العراء

وتموج الأصداء من زفرة الأرض
بأذن المهابة الصماء

صور أفرغت على أذن الشاعر
نجوى علوية الايحاء !..

***

هكذا استعرض الوجود ملياً
في غضون الاصباح والامساء

في اختلاج البروق ، في قهقهات
الرعد ، في صاخب من الدأماء

في ابتسام الرياض، في هدأة الجدول،
في نفحـــة الربى الفيحـــاء

فانثنى ضارباً على الوتر الشادي
أهـــازيجَ روحـــه الشماء !

فض فيها عن الحيـــاة نقاباً
من خداعٍ وبرقعاً من رياء !

ورمى ختمَ سرهـــا فتجلت
بعـــد لأيٍ عريانـــة للرائي !

فتهادت بناتها باصطفاق الصنج
والدفّ واتســاق الغنـــاء

كدُمى هيكلٍ لقـد نفض الله
عليهـــا اختلاجةَ الأحيـــاء !

يتمايلن راقصاتٍ نشاوى
بـــدلالٍ مفجّر الاغراء !

فمن الخصر عطفةٌ تركت في
حلمـةِ النهـد نفرةً للعـــلاء !

١١٩

كل بنت جياشة الصدر ترمي

أختها بابتسامةِ استهزاء

زُمَرٌ من كواعبٍ برزت في

صورِ العيش في أتم جلاء !..

... عزف الشاعر النبيغ فجستّ

أكبدَ الراقصاتِ كفٌّ العزاء

مسنداً رأسه على كتف القيثار

مستسلماً إلى الأهواء

وإذا ما صحا على نفخة البوق

بأذنيه وازورار القضاء ...

خَدِرَتْ كفه على الوتر الشادي

ومالت أصداؤه في الفضاء

وتلاشت تلك الحسان تلاشي

الشمع في زفرة اللظى الحمراء

وهوى فوق مضجع من تراب

تحت عطفي صفصافةٍ غيناء !!

***

كم على تربة الزمان من الأوتار
ظلت في نضرة وبهاء

دفقاتُ التذكار تغسل عنها
من غبار النسيان كل غشاء

أبداً تُرقصُ الحياةَ ، وسمع
الدهرِ في نشوةٍ من الأصغاء

أمنتْ ريشةَ الفناءِ فما زال
صداها ذاك القريب النائي

فكأن العزّافَ لم ينفضوا الأيدي
ولم يهجعوا بحضن العفاء

بين تلك الأوتار في عالميها
وترٌ صيغ من سنا الصحراء !

غمرَ العربَ سحره الفاتن البكر
وناداهم بخير نداء !

120

فيه من غضبة الأباة على الضيمِ
وفيـه من بسمةِ العليـاء

مجبس الدمعةَ التي سكبتها
في سخـاء محاجرُ البؤساء

صقلتـه أنامـل « المتنبي »
فـاذا الشعر مُستفَزّ الأداء

بدويّ لينُ الحضارة في برديـه
ناجى خشونـةَ البيـداء

حضنتـه العليـاء طفلاً وكهلا
وغـذتـه بأكرم الأثداء

فتهادى يختال في ظلمـةِ الأرض
وعينـاه في ذُرى الجوزاء

عزةٌ تدفع الجبانَ إلى الثار
فيمضي للغـارة الشعواء !

وطموحٌ مجنّحٌ يترك النسرَ
كسيحاً في زحمـة الأنواء !

عرفت روحه السرابَ ولكن
خادعت روحه بروقُ الرجاء

يطأ الشوكَ فوق دربٍ أمانيه
ضحوكاً من غائل الأرزاء

إنما ضلت خطاه الليالي
والليالي عداوةُ العظماء !

كلما شارفَ الرضى غمسته
في خضم الخذلان والبأساء

رب جذلانَ في الكرى زاره
الحلمُ وأغراه بالمنى البيضاء

لم تكد ترجف المحاجر حتى
سرق النور دميةَ الاغراء !

فسعى في عناده يصفع الضيم
ويطوي الضراء بالضراء

كعقاب هزت إلى الأفق الرحب
جناحي عزيمة ومضاء !

121

حلّقت.. والرعود تجأر والسحب
تهـــاوى ، منثورة الأشلاء

وتسامت ، طوراً تضم جناحيهـا
وطوراً توخيهـــا بازدراء

وأنت وكرها مكسرةَ الريشِ
وفي صـــدرها دمُ البرحـاء

وثوت تحـدج الجراح الدوامي
وبألحاظهـــا التفـــاتُ الاباء !

هكذا مصرع الرجال ، فلا نامت
على العز أعـــينُ الجبنـــاء !!

***

شاعر الخلد قف على قبة الخـــلد
وشـــاهد أئمـــة الشعراء !

هتفوا باسمـك المضمّخِ بالمجـد
وكدّوا حنـاجراً من ثنـاء !

قربوا عهدك البعيـــد فرت
صورٌ منـــه فاتنات الرّواء

ذاك سيف الدولات من آل

حمدان منار في السلم والهيجاء

مشرق الوجه دافق النعم الحمر

صليبُ الشكيمة العرباء

ذاك كافورُ ضحكة الهزء في

التاريخ ينهى ومصرُ في إغضاء

صور من بيانك البكر تبقى

نهبةَ الطرف غضّةَ الايماء

***

شاعرَ العرب ، غُضّ طرفك

فالعرب حيارى في قبضةٍ عسراء !

مخجل المجد أن يرى الليث شلواً

تحت أنياب حيةٍ رقطاء !

أين مُلكٌ في ظله ترقص النعمى

وتشدو شبّابة العلياء

122

أين لمعُ المنى وحمحمة الخيـل

وهجُ القنـا وخفقُ اللواء

الميامـين ، يا غرامَ الميامين ،

يخوضون لجةً من شقـاء

القيود الثقـال عضّت عليهم

وجرى سمها على الأحشـاء

ولئام الطغاة تجترّ كالذؤبان

قلبَ المـروءة الغراء

كم أهانوا دمعَ المسيح على الأثم

وهزوا مضاجعَ الانبيـاء

إن هذي الربوع بعد بهاها

صيروها مقـابرَ الشهـداء !!

فاعذرنْ إن سرت خلال نشيدي

بحةٌ من تفجعٍ وعنـاء

كيف أهدي إليك بيض الأغاني

وجراحُ الأيامِ خلفَ ردائي

١٩٣٥

حرمان

نبت الخادم أن تهيىء له حجرة نومه ...

سعيتُ لحجرتي قلقاً
وجنح الليل معتكرُ

وأحلامي مخضبةٌ
على جفنيّ تنتحرُ

وذكرى صبوتي أفعى
على جنبيّ تنحدرُ

***

بلغتُ الباب ، والضوء
الخفيتُ وراءه يبدو

وما أطبقتُه حتى
اقشعرّ الشعر والجلدُ

رأيت ... وليس بي سكرٌ
ولا بجوانحي وجدُ

123

رأيتُ ... عـلى مريوي قـد
غَفَتْ هند ، أجل ، هنـدُ

فـذلك فدهـا البضّ
وهـذا شعرها الجعـدُ

أعادت ؟ بعـدما انفصمت
عُرانـا ، وامّحى الودّ ؟

***

وقفتُ ، وخـافقي يشتدّ
بـين جوانحي وثْبـا

وهنـدٌ لم تزلْ تغفو
وتنهب صبـوتي نهبـا

أمـا نفضت يديها من
غرامي ، وانثنت غضـبى ؟

ألم تجنح إلى غـيري ؟
ألم تخلص لـه الحبّا ؟!

علامَ ، أنتْ ؟ أتحسب أن
سيمحو وصلُها الذنبا

أجل ، يا أمّ آلامي
سيمحو وصلك الذنبا

***

وقفتُ أقلّبُ الطرفَ
على فيّاضة الأنسِ

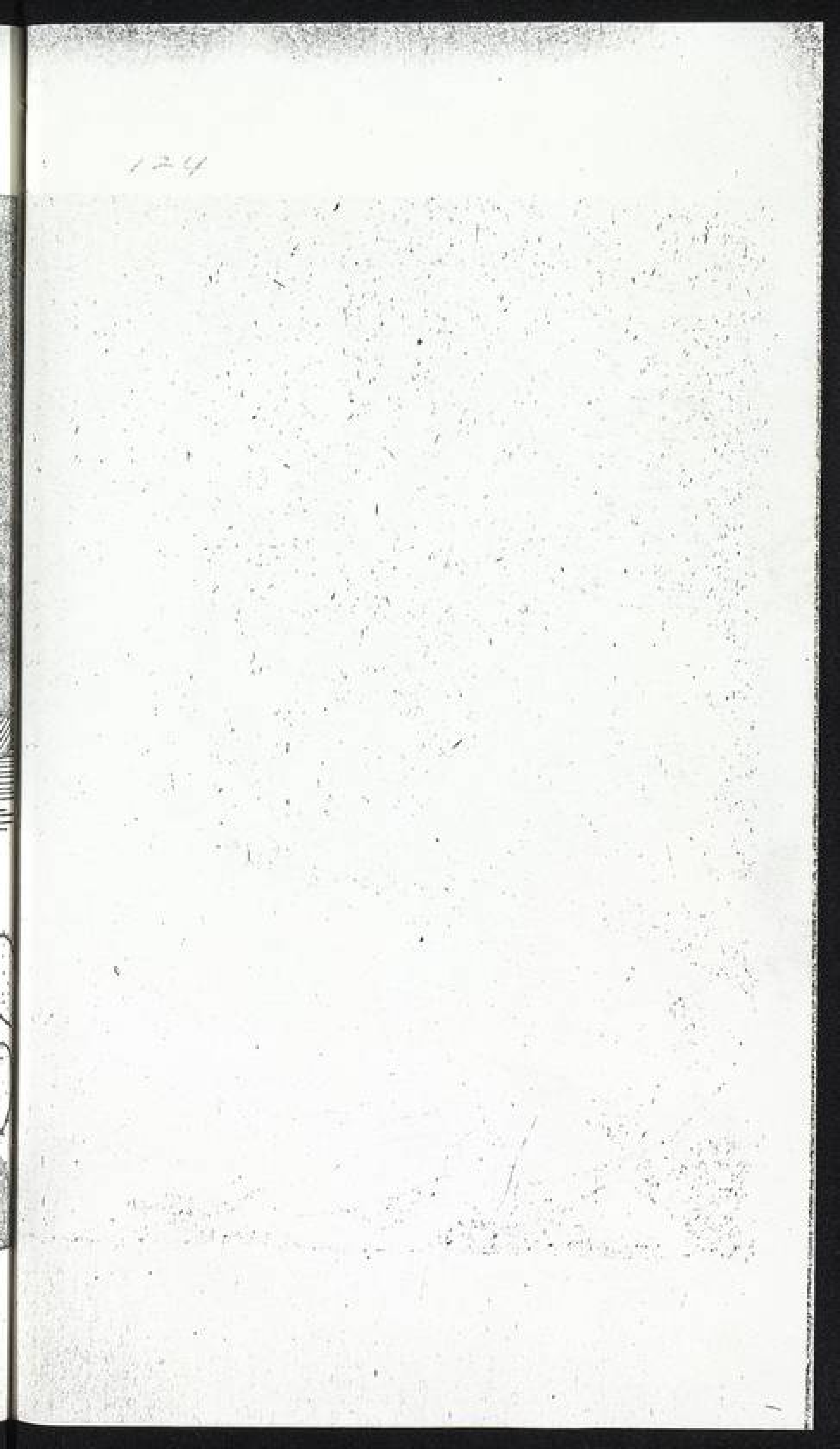
فثارت بي عواطفُ ، بل
عواصفُ حبيَ المنسي

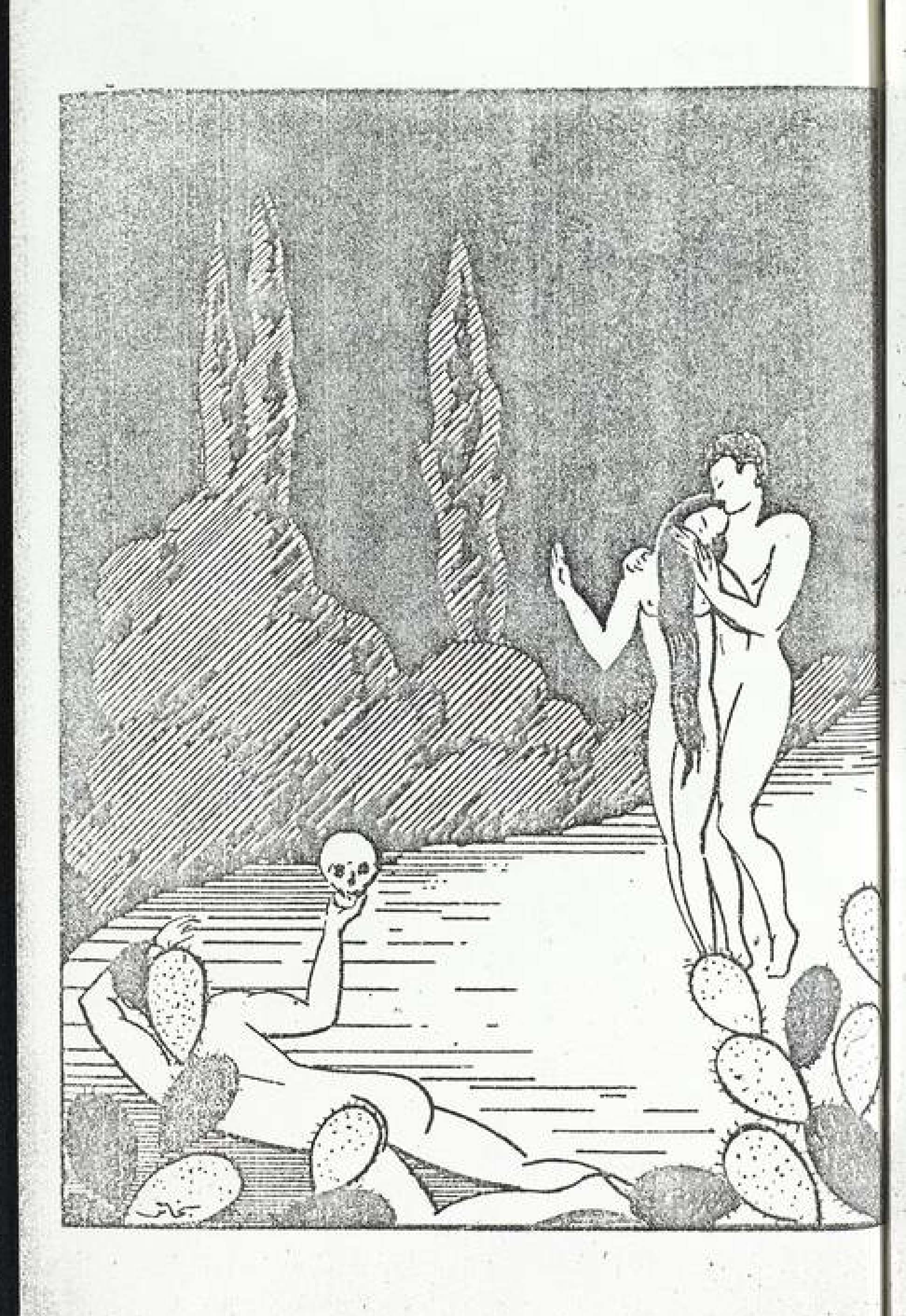
فسرت إلى اللقاء السمح ،
بينَ الحلم والهجس

ولما لامست كفي
السريرَ ... ضحكتُ من نفسي

وسالت دمعةٌ أودعتُ
فيها منتهى حسي !!

١٩٣٤





125

شبح الماضي

لا تطفئي المصباح، إن الكرى
لم ينتكىء بعدُ عـــلى مقلتي

ولم يزل في الكأس من خمرةٍ
تستنزف الأوهـــام من سكرتي

ماذا تريدين ؟ وطلّ الهوى
ما جف عن عطفيك يا فتنتي

نامي ، على مهد الصبا ، واحلمي ،
جذلى ، وخليني إلى وحـــدتي !

***

لا تسحبي الزفرة ، في حسرةٍ
فما أنا غـــير فتىً شـــاعرِ

إن التي همتُ بهـــا حقبةً
هاجعـــة ، في قـبرها الداثرِ

فلا تغـاري ، إن جرى ذكرها
منفلتـــاً من خاطر عـــابرِ

حسناء ! أين الشعر من نبعـةٍ
جفّتْ كخفق الحلم في الناظر !

126

***

تبسمتْ عن تيهها وانبرت
نجمع ما بُعثر من مضجعي

وأصلحت من شعرها وارتمت
تُغري الكرى في جفنها الطيّع

نامت.. وفاض الصمت مستوحشاً
وفاضت الأوهام في مخدعي

وليس ما يقلق حسي سوى
تنفّس الظلماء في مسمعي !

***

نامت ، وللمصباح موجاته
على الجبين الهادىء الناعم

يرمي مديدَ الظل في خدها
من جفنها المستسلم الحالم

ظلٌ أرى فيه ارتعاش الهوى
منطلقاً من قلبها الهائم

تخاصرت للرقص أطيافه
ثم ارتمت في ثغرها الباسم

***

تزلّق الطرف على عنقها
وغاب في فجوتها يسكرُ

وخصل الشعر على صدرها
فواحةٌ تنثر ما تنثر

وكلما اهتزت ، بدا ناهدٌ
يهفو لها ، أو ناهد ينفر

كم ذقت من سمرة طوقيهما
وكم شكا للاسمر الاسمر !!

***

١٥٦

رجعت للكأس وأفرغتها

وبي ذهول الهائم الموجع

وسرت ما بين بقايا المنى

مبعثرَ الخطوات للمضجع

فلاح من ماضيّ ، طيف الأسى

مغرورق العينين بالأدمع

وحرتُ ، لا أدري أبي هازىءٌ ،

أو عاتبٌ ، أو أنني لا أعي !

***

غمرتُ فوديّ بكفي ، ولي

في كل عرق رعشةٌ حاردهْ

ومن حفيف الطيف في مسمعي

جلجلة صاخبة راعده

ينسلّ في رهبته ساحباً

على جبيني كفّه البارده

فغبت في إطراقتي ذاهلاً

أحبس من أنفاسي الشارده

***

تنفّس الفجر، على صفحة

مسطورةٍ بالألمِ الثائرِ

تفيض بالسلوى على أنفسٍ

مفجوعة في حبها الغابر

لن يذهب الماضي بأشباحه

مهما تراخت سكرة الشاعر

حسناء، كلُّ الشعر في نبعةٍ

جفّت كخفق الحلم في الناظر

١٩٣٥

128

خالد

لا تنامي يا راويات الزمانِ
فهو لولاكِ موجةٌ من دخانِ

تتوالى عصوره وبها منكِ
ظلال طرية الألوانِ

أبداً تبسم الحياة عليها
بسمة المطمئن للحدثانِ

أسمعيني حفيف أجنحة الالهام
من أفقك القصيّ الداني

وانثري حولي الأساطير فالروح
على شبه غصّة الظمآنِ

حسبها أن أردها لك ، من قلبي

صلاةً ، ومن شفاهي أغاني !!

***

راويات الزمان هل شعر الرمل

بنفض الغبار عن أرداني

وهبوب الأجيال في يقظة الذكرى

وتهويمة الطيوف الرواني

وانفلاتي من الغيوب بأقدام

غريب نائي الحمى حيران

ما له في وجومه يغمز الشعر

فيهمي مثالثاً ومثاني

نفحات النبيّ ، والفتح

والعلياء ، والعز ، والندى والبيان

رعشاتٌ في أضلعي ، ماجت

الصحراء فيها ، وماج فيها افتتاني !!

129

صدق الحبّ، إن موطني الأجرد،
روضي وجدولي ودناني

ينبت المجدَ قبل أن ينبت الورد
ويعطي الثمار قبل الأوان

***

ما أرى ؟ هذه ذوائب مخزوم
وهذي خيامهم والمغاني

ما لهم زيّغ الحلوم، يعدّون
كريمَ المشيم للنيران

سدلوا الأزرَ مغضبين، وشدوا
الحُمرَ واستلأموا ليوم رهان

يطلبون النبي في «أحد» والثأرُ
طاغٍ، لم يثنهم عنه ثانِ

وامتطوها مذاكياً تخطف الأرض
وعضاتُها على الأرسان !

***

«أحدٌ» لاح، حين لاح عليه
عالَمٌ ضمنَ هيكلٍ إنساني

زرع الحق في كتاب مبين
وحماه بكل عضب يماني

كيف يطوى الحسامُ والجاهليات
هيامٌ الأوثان بالأوثان

***

وثب الهولُ وثبةً فلّت البيضَ
وشظّتْ عواليَ المران

وعدا المؤمنون في غفلة النصر،
وراء الأسلاب! كالعقبان

فدوت صيحة النبي، فثابوا
فاذا هم في قبضة العدوان

/130

واذا المشركون عاصفة هوجاء

تدمي جوانب الميدان

وفتاهم، ذاك المطوح بالهام،

مثير الأعجاب في الفرسان

دفعَ المهرَ مغضباً، فكبا المهرُ

أمامَ النبيّ بعد حِران

فانتضى سيفه، وهمّ؛ فلم يقو

ولم تنطلق له قدمان

فارتضى بالسجال، وارتدّ حرّانَ،

وفي النفسِ هاجسٌ رحماني

***

أطرق المؤمنون، والأمل العاتبُ

يندى على الجباه الحواني

كل نفس في السر سائلة من أين

ذاك الفتى المجيب الطعان

لم يلح قبلُ في كنانة مخزوم
سنانٌ كمثل هـــذا السنان !

لا تزيغوا ، صاح النبي ، فلولا
الزيغ لم تطرقوا على الخذلان

الهوى الدنيوي والهدف العلويّ
في النفس ليس يلتقيان !!

أعلمتم مَن الفـــتى المتثني
بوشاح البطولة الأرجواني ؟!

إنه ابن الوليد ، زغردةُ النصر
وانشودةُ الجهـــاد البـاني

مرّ في ناظريّ طيفاً بعيـداً
عبقريّ النضال ثبتَ الجنان

وكأني أراه يضرب شرق الأرض
بالغرب ، مُشرقَ الايمـــان

وأرى كبرياءه دمعة التكفير
مسفوحــــة عـلى القرآن

131

صدق العهد ، فالفتوح توالى
وصدى خالد بكل مكان

أينما حل فالمآذن ترجيعُ
اذان المهيمن الديان

وبدا الروم في ضلال مناهم
شوكة في معاقد الأجفان

فأتاهم بجفنة من رجال
عندها المجد والردى سيان

ورماهم بها ، وما هي إلا
جولة ؛ فالتراب أحمر قان

وضلوعُ اليرموك تجري نعوشاً
حاملاتٍ هوامدَ الأبدان !

***

هلل المؤمنون واهتزت البشرى
تروّي حناجر الركبان

فاذا خالد على كل جفن
خطرات من الطيوف الحسان

سَمَرُ الغيد في الليالي الكسالى
وهوى الصيد في الزحام العوان

فتنة خيفَ أن يشيع بها الزهوُ
فتلوي بالقائد الفتان

فنحاه الفاروق فانضم للجند
فخوراً بعزة الاذعان

وتراءى أبو عبيدة في الفيحاء
يحمي اقيادة الفرسان

وفتى النبل خالد يقحم الأسوار
في نخبة من الفتيان

لم تزعزع من عزمه إمرة الفاروق
بل فجرته فيض تفاني

وإذا راضت العقيدة قلباً
فمن الصعب أن يكون أناني !!

132

***

يا مسجّى في قبة الخلد يا خالدُ

هل من تلفتٍ لبياني ؟

لا رعاني الصبا ، إذا عصف البغي

وألقى في ضريحَ لساني !!

أقسم المجد أن أقطّع أوتاري

عليه بأكرم الألحان

أنا من أمة أفاقت على العز

وأغفت مغموسةً في الهوان

عرشها الرث من حراب المغيرين

وأعلامها من الأكفان

والأماني التي استماتت عليها

واجماتٌ ... تحكلمي يا أماني

لا تقل ذلت الرجولة يا خالد

واستسلمت إلى الأحزان

حمحمات الخيول في ركبك الظافر

مـــا زلنَ نشوةَ الآذانِ

كم طوت هذه المرابعُ أفلاذ

قـــلوب «بدرية» الخفقـانِ

ثم تلفتّ تَوَّ الجنود، كما كانوا،

منـــار الاباء والعنفوان

ما تخلوا، عن الجهاد، ولكن

قادَهم، كلُّ خائن، وجبان !

***

راويات الزمان، مالي أناجيك

ومـــالي أغصّ بالأشجـــان

إغسلي الذكريات عني فمالي

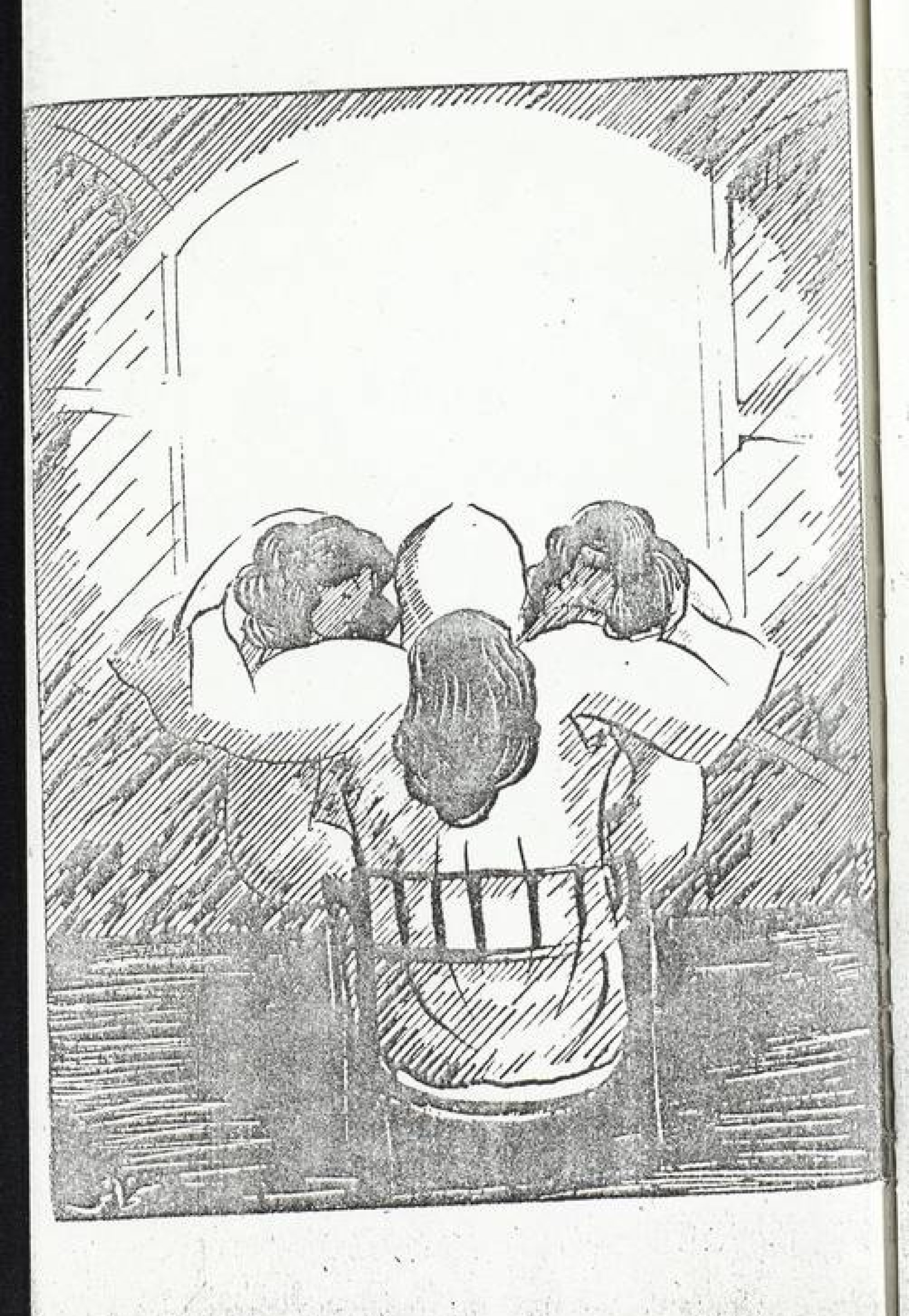
في احتمال العبء الثقيل يدان

أو فسيلي مراوداً، تنثر الكحل

ضياءً، في مقـــلة الوسنـــان

١٩٣٨

133



الصليب الأحمر

رجفت يد الساقي ، وطاح المزهر
وتململ الشادي ، نام و السُّمَّر

تلك النفوس المطمئنة ، قد طوت
ذاك البساط ، وما له من ينشر

كم في ابتسام الفجر من أسرارها
نعمى ترفّ على الحياة وتزهر

ولّت، كما ولّى الربيع، فسرحة
صفراء باقية، وأخرى تكسر !

***

ما لليالي الخرسِ، ليس يسلّها
من صمتها، إلا النشيج المسعرُ

ونوائب الأشباح من فجواتها
رعناء، في أكفانها تتعثر

هل في المضاجع هاجعٌ تسري إلى
جفنيه أطياف النعيم وتسهر

في كل متكأٍ وكل وسادةٍ
جرح يسيل، ودمعة تتحدر

الأرض ضجتْ من عقوق بنوّةٍ
قامت بناديها تعبّ وتسكر

135

كفرتُ بها بعد المتاب وإنها
من عهد قابيل تتوب وتكفر

***

يا ربّ أم يجفّ زيت سراجها
وعدتْ هواجسها عليها تجأر

تستعرض الماضي ووارف فيئه
فتغصّ بالذكرى فما تتذكر

وصبية طافت بها أحلامها
والشوق بين ضلوعها يتفجرُ

أين الفتاء السمحُ ، يسأل قلبها
الغضّ الطري ونهدها المتحجر

حتى إذا صفع القنوطُ رجاءها
نامت على جوع الصبا تتضور

وأب يجرّ وراءه أعوامه
والشيبُ مذبوح الوقار معفّر

يبكي ، وتبكي الكبرياء ، كأنها
خجلى ، تحس بما يحس ، وتشعر

يا للبنين الصيد ، أيّ منهمُ
يلقى أحبته ، وأي يقبر

***

إني لألمحهم على ميدانهم
والهول منجله يغيب ويظهرُ

حتى إذا ما قام يحصد لم يجد
شرفاً يهانُ ، ولا إباءً يُحقر

صمدوا له ، والمجد فوق رؤوسهم
نشوان ، ينقل عنهمُ ما يؤثر

هتفوا به ، لبيك ، كلُّ جراحة
هي في سبيلك ، ثورة وتحرر

نقضي البطولة أن نمدّ جسومنا
جسراً ، فقل لرفاقنا أن يعبروا

136

ومشوا على وَهَج اللهيب بواسماً
وتقهقر الناعي ، ولم يتقهقروا

وكذا يذود عن الحمى عبّادُه
ويموت من دون العرين القسور !

***

عيسى! طلعتَ على الوجود وليس في
آفاقه ، إلا الشقاء الأكدر

تجري الخطيئة في ملاعب لهوه
والصنج خلف ركابها والمزهر

ومعفرين جباههم في رجسها
ضجوا على صوت النبوة واجتروا

في كل صوب ٍ أرعن متنمرٌ
يسعى إليه أرعن متنمر

هزوا بوجهك فاتكات ِ حرابهم
واستكبروا ، والله منهم أكبر

فأسلت من عينيك دمعة راحمٍ
متوجع ، وغفرت مـــا لا يغفر

وحملتَ جرح ضـــلالهم متبسماً
واليوم يحمـــله الصليب الأحمر

دنياكَ ما زالت كما ودعتهـــا
كفٌ مضرجـةٌ ، ورأي أزور !

***

سر يا صليب الحب ، إنك حامـل
أمـــلاً يرف ، وذمةً لا تُخفر

دمع الأرامل واليتامى مـــا همى
إلا ليمسحه الحنان الخيّر

في كل جرح قد لففتَ ضمـاده
ثغرٌ يسبّح ، أو لسان يشكر

١٩٤١

137

ياشعب

يا شعب ، لا تشـك الأذاة ،
ولا تُطـل فيها نواحـك

لو لم تكن بيـديك مجروحاً
اضمـدنا ، جراحـك

أنت انتقيت رجـال أمرك
وارتقبت بهم صـلاحك

فـــاذا بهم يُرخون فوق
خسيس دنيـــاهم وشاحك

كم مرةٍ خفروا عهـــودك
واستقوا ، برضاك ، راحك

أبسيل صـــدرك من جراحتهم
وتعطيهم ســلاحـــك ؟

لو كنت تجهلهم ، لراح
العـــذر يستجدي سَماحك !

***

لهفي عليـــك ! أهكذا
تطوي عـــلى ذلٍ جناحك

لو لم تبح لهواك ، عليـــاءَ
الحيـــاة ، لما استباحـــك

١٩٤٣

138

تكريم

ألقيت في الحفلة التكريمية التي اقامها له
الشهيد الكبير عبد الرحمن الشهبندر

قد كنت أعطيها زمامَ ركابي
وأقول يا دنيا اهتفي لشبابي

أيام أعثر بالهيامى عكفاً
يسقون ما أبقيتُ في أكوابي

ويرددون صداي في أعراسهم
ويضمخون اللهوَ من أطيابي

تلك الرؤى لم يبق من أطيافها
طيف ترقّصه على أهدابي

ودعتها قلقاً وتحت مواطئي
ما كنت أعبـــده من الأنصاب

لولا الخطيئة والمتاب لما هفا
للنور عبدٌ خطيئة ومتاب

يمتُ هيكله البعيــد وفي فمي
نجوى الحيــاةِ كريهة الآراب

حتى إذا أرسلتها. ألفيتها
غصصاً مدماة من الأوصــاب

أيهزني طربٌ وأشبــاح الشقا
في موطــني مسنونة الأنياب

والجرح يأكل أصغري وجبهتي
مخضوبة بعـــد السنا بتراب

ويد العقوق مجدّةٌ ونتاجهـــا
أهُبُ الرجال على طباع ذئاب

من خـــانع متكبر، ومخاتل
متقلب، ومحـــالف كذاب

139

صورٌ ينهنهني الذهول حيالها
ويردّ إلهامي على الأعقاب

***

يا سادة نثرت علي حنانها
فازينت بجنانها آدابي

من يكرم الأطيار إن رقصت على
أنغامهن جداولٌ وروابي ؟

أنا بسمة الحلم المطل على المنى
ومدامع الأمل الشرود الكابي

عذراً إزاء عواطف زخارة
إن خانني قلمي وكتّم ما بي

يا رب عاطفة وراء جوانح
خرساء أبلغ من أرق خطاب

١٩٣٩

يتيم

عرفه يتيماً وديعاً هذا الذي تعبت منه السجون

كيف يرنو إلى جمال زمانه
وجراح الآلام في أجفانه

ما وعته الحياةُ إلا كئيباً
ساحباً فوقها خُطا أحزانه

١٤٥

ساهمٌ ، واجمٌ ، كأن الأمـــاني
أنفت أن تمرّ فوق لسانـــه !!

***

جاءَ دنياه والليـــالي السكارى
ممسكات على الأذى بعنانـــه

قهقهات النعيّ ، رجع أغانيهـــا
إذا مـــا سرت إلى آذانـــه !..

فصمته عن العيون اللواتي
غرقت في الدجى على تحنانـه

وهو في فجره المطلّ ، انتفاضُ
البرعمِ الغضّ في ندى نيسانـــه

تمشي في الوجودِ ... يحمل قلباً
ليس غير الوجيب في خفقانـه

أشعث الشعر ، لوّح السقم خديه
وهزّ العيـــاء من ريعانه

كم أتى ملعب الحمى فشجاه
هتَفَاتُ الأفراح من فتيانه

وتناديهمُ إلى متع اللهو
ونجوالهم على ميدانه

كلّهم آيبٌ على مغرب الشمس ،
إلى أهله ، إلى إخوانه ...

بين فيض القبلات ، يأوي الى المهد ،
ويغفو جذلانَ في أحضانه

من لذاك المنسيّ من خاطر النعماء
من للغريب في أوطانه ؟

أي وزر جناه ، في غفلة الحظ ،
ليسقى الزعاف من أدرانه

حسبه أنه إذا هتف الطهرُ
ترامى العبير من أردانه ...

***

ما له يطبق الجفون على الجرح
ويطوي ماضيه في أكفانه

ويزجى خطاه في موكب العيش
صبوراً على أذى طغيانه

بين أشواكه ، وبين أفاعيه
مجال التصخاب من أشجانه

تاه فيه حتى استساغ أذاه
ورآه كقطعة من كيانه

فهوى بضغ الحياة ، على ما
هدمته الأقدار من بنيانه

كل أقرانه بنو الحانة الحمراء
إن يلتفت إلى أقرانه !..

والحجى ! ما الحجى ، متى شرف
الوحش وعفت يداه عن عدوانه

أهملوا شأنه صبيا ولو شاءوا
لبثوا به نباهة شانه ..

ربّ سجن لم يلعب النور فيه
كان أحنى عليه من سجانه

وقيود كانت أخف عضاضاً
من عضاض المختال في طيلسانه

خلقة الله ، أبدعتها يداه
واستخفت بها يدا إنسانه

***

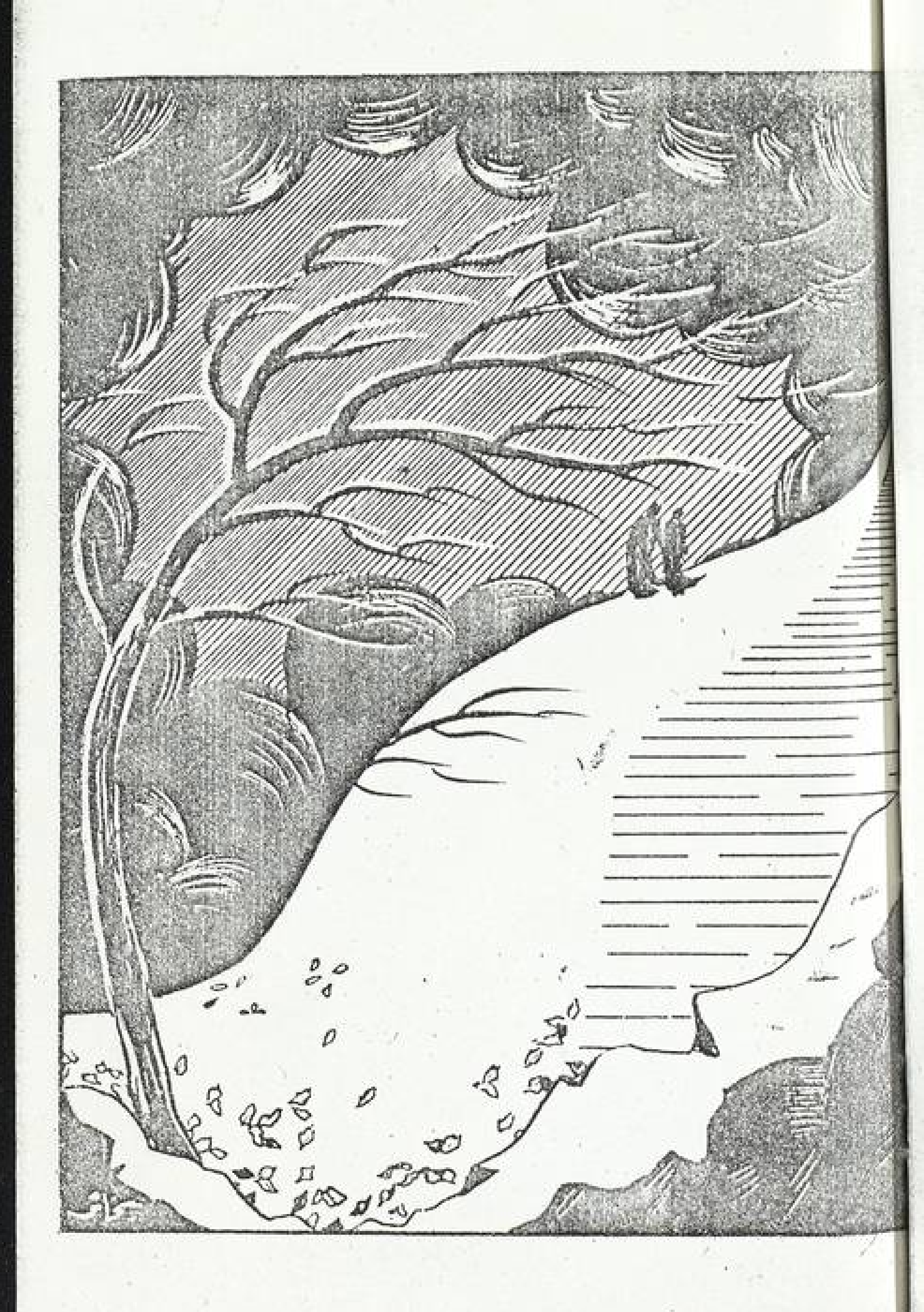
يا أكف الحنان كم من كسيح
كنت عوناً له على جريانه

كفكفي الدمعة البريئة واحمى
أزغب الريش من رياح زمانه

أنتِ من رحمة الألوهة ، ينبوعٌ ،
يعب العطاش من فيضانه

١٩٤٢

142



143

لنا الحب

لنا الحبّ والكأسُ والمزهرُ
وللناس ... منا الصدى المسكرُ

مشينا معاً ، وجنـــاح الرضى
يواكبنا ظلّه الخيّـر ُ

وخلف ملاعبنــا أنجـم ٌ
على شوق أوبتنــا تسهر ُ

غداً ، ينقــل الكون ألحاننا
ويسمرُ في ذكرنا السمّر ُ

فميلي نغبْ في شذا ضمــة ٍ
يرفّ عليهــا المدى المقفر

أخاف انفلات الرؤى الباسمات
إذا خلّجَ الجفــن والمحجر

فأحلامنا ... يقظات الحيــاة
ووحيُ النفوس الـتي تشعر

ونحـن من الأزل المطمـئن
تبشر في يومنــا الأعصر

١٩٣٧

حرمان

صعّد الطرفَ في السماء وصدّى
بدموعٍ ترجرجتْ في هدبه

بين شدقيه مضغةٌ عقلتها
يومَ ميلاده أناملُ ربه

جردت عن لسانه لذة النطق
وبثّتْ إعجازه في قلبه

فاذا حبه بصوغ مناه

وإذا بؤسه يعيث بحبه !

***

أخذت ثورة الكآبة تطغى

بين حاليْ فؤاده ولسانه

ليس يسطيع أن يبث خليلا

ما تقول الدموع في أجفانه

تتهاوى أشلاءُ آماله الغرّ

تباعاً على خطى أحزانه

كيف يطوي سفر النعيم كئيباً

وشباب الحياة في ريعانه

***

صفعت قبضة الذهول حجاه

فانثنى في الوجود حيران تائه

يسحب الساق متعباً كعليلٍ

هجر الدارَ قبل يوم شفائه

145

أشعث الشعر لوّح السهدُ خديهِ
وهزّ الشقاءُ من كبريائه

كلما جاشت اللواعجُ فيه
أطرقَ الرأس غارقاً في شقائه

***

وقف المدنف الشريد حزيناً
يرقب الغادة الطهور الازارْ

فتراءت إليه من بعد لأيٍ
فطغت لوعةٌ وضجّ اصطبار

فجثا باسطاً يديه إليها
شاكياً بالدموع حباً مثار

فرمته بدرهم ! وتوارتْ
وعلى ثغرها بريق افترار !

صعّد الطرفَ في السما مزبدَ الشدقِ
وأبدى ما لست أدري ...
وسار ...

١٩٣٥

مع الناس

طغت كبرياء المنى وارتمت
على مقلتيَّ رؤاها العِذاب

فما لاح لي غيرها في الوجود
كأني سدلت عليه النقاب

أأصحب أصنام هذا الورى
تروح وتغدو بظفر وناب ؟

أأسمع قيد الزمان الثقيل
يجلجل في داميات الرقاب ؟

146

نفرتُ أنوفاً... وأرخيت في
سماء خيالي جناحَ الشباب

وحلقت وحدي ولا كوكب
يطالعني من خلال الضباب

وأقدمت حتى لمست العياء
وغالبت حتى خسرت الغلاب

وعدت إلى الأرض لا طامعاً
بنعمى ولا خائفاً من عقاب

أصافح أصنامها مثلما
تلاقي الأحبةُ بعد الغياب

وأسحب قيدي مع الساحبين
وملء جفوني لهاث التراب

***

أنا في السراب أروض الحياة
وأشرب حلم الصبا في السراب

١٩٣٦

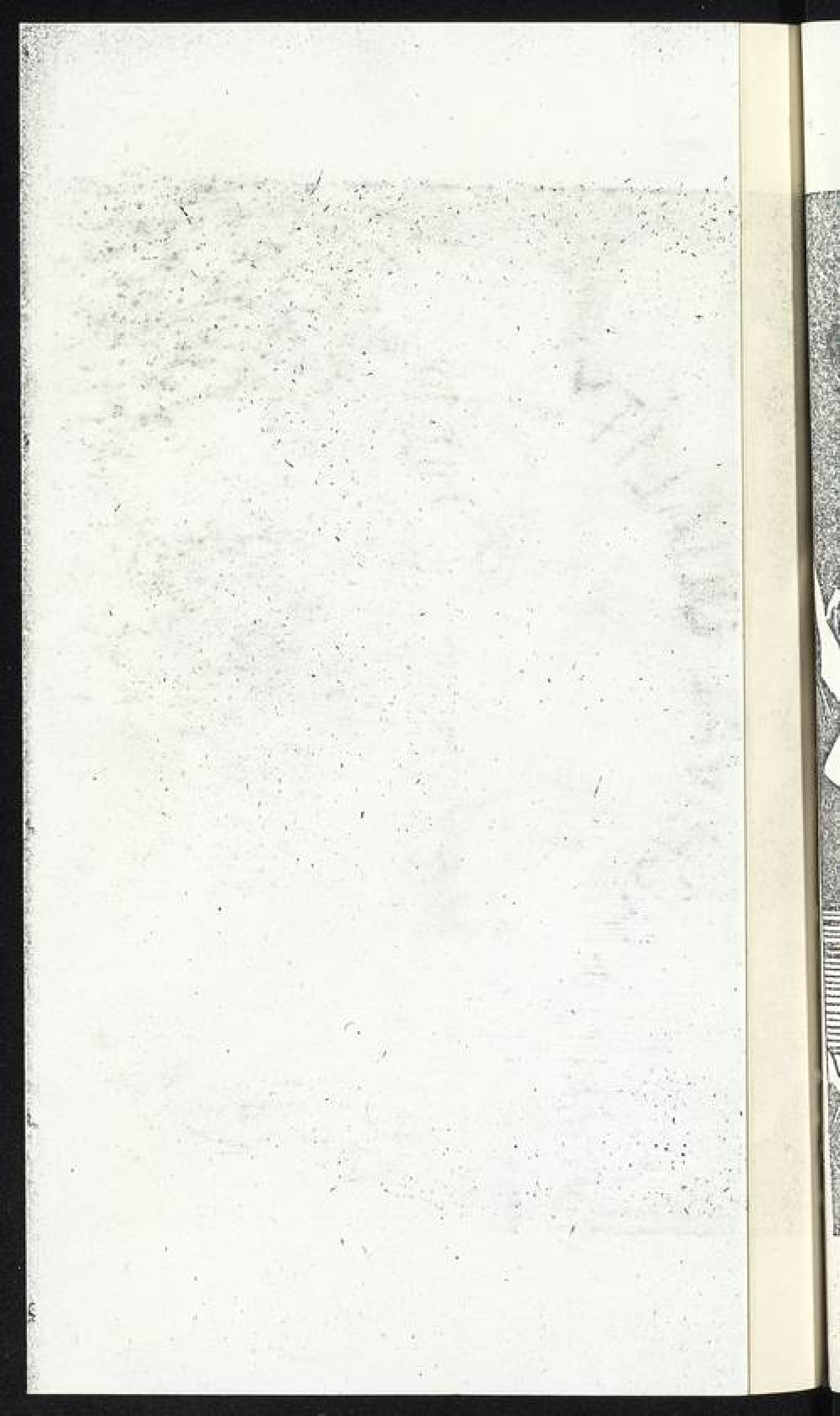
قلق

طـــال انتظارك فاعـــدلي

عـني ... وأبقي الهـــمّ لي

مـــا نحن أوّل من بـــنى

وبنـــاؤه لم يكمـــلِ



حسبي وحسبك أننا
كنّا ... ولم نتبدّلِ

كم سرت مشدود القوى
شوقاً لذاك المنهل

وسعيت حتى هدني
المسعي وأدمى أرجلي

لا حاضري يفتر
بالبشرى ولا مستقبلي !

واشقوةَ الأيام كم
قصّت جناحيْ بلبلِ

***

أختاه سلّي الحلم من
جفنيكِ ... لا تتأملي

أنا في شجيّ العمرِ
تحملني يدُ الزمن الخلي !

١٩٣٨

امرأة

أنكرتني ؟ ما زال عبق الهوى
وهجه في ثغريَ الدامي

أهكذا ينحلّ ما بيننا
وتنتهي نعماء أيامي ؟

كم سرت في إثرك في غفلةٍ
عنك ، وملء الدرب أحلامي

وكم تلفّتّ ويا طالما
عرفتني من وقع أقدامي

***

مررتِ بي اليوم ولا بسمة
منكِ لطهري ، أو لآثامي !

١٩٣٧

حنين

عرفتُ شذاك ، فالتفتتْ
تسائلُ عنكِ أشواقي

فلحتِ على خطىً مني
فغابتْ فيك أحداقي

وعاث بنشوتي ، همسُ
النديم وبسمةُ الساقي

فقد باحا بسرّك لي
وأصغيتُ ، باطراقِ

فكم هزءا بعشاقٍ
وكم رثيا لعشاق

وما دريا بما بيني
وبينك من هوىً باق

وكيف يُظن أنْ أهبطَ
من علياء آفاقي !!

***

متى أُساوكِ ؟ لا أدري ،
وماذا بعد إخفاقي ؟

١٩٣٩

شباب

مـــات الشباب ! فملء صدر
الأرض أنفـــاسُ اكتئابِ

سمعتْ بــه أترابُــه

فأتتــه أنضـاءَ انتحـابِ

فالزهوُ مشـلولُ الخطى

والحسن مجروح الاهـاب

والطـير محـدود الفضا

والروض مسلوب الملابِ

والشِعرُ مخنوقُ الصـدى

والسحر مطويّ الكتـاب

وقفتْ تــواري ذاك

النعشَ المكرّمَ في الـتراب

وتساءلت حـيرى ، أمـا

للحب حسٌ بالمصـاب

مهـلاً ، طعنتِ وفـاءه

فالحبُ مات مع الشباب !

١٩٤٠

151

عذاب

يرفع الستار عن صالة للتصوير في بيت متواضع .
المصور أمام لوحة يرسم عليها
صورة فتاة . وهنا وهناك مقاعد
مبعثرة » .

ـ جميل المصور ـ

جمالَ الحياة على مقلتيكَ
سكبت فؤادي ، فلا تهجعِ

عصرتَ على شفتيَّ المنى ..
فسالت نعيماً على أضلعي

عرفتُ بك الله بعد الضلال
فدلَّ البديعُ على المبدعِ

أغنيك حبي ، وهذا الوجود
ضحوك الثنايا يغني معي

« ينادي »

سعاد ، مُنى القلب ، خلي الرؤى
تذوب على دافىء المضجع

لقد أومأ الصبح للساجعات
فهبّتْ تفتش عن مرتع

« تدخل سعاد »

ـ سعاد بدلال ـ

جميل !

ـ جميل ـ

سعاد

ـ سعاد ـ

أصورتني ؟

ـ جميل ـ

أريد يديْ ساحرٍ مبدعٍ

ظـلال الهيولى وألوانـهـا
وراء بنـاني ، ولم أقنـع

ومن دون روحك هذا القناع
وما نسج الظن من برقـع

كأن حـدود الفنون انتهت
ومـا بلغتني مـدى مطمعي

« يرمي بريشته وينهض »

ـ سعاد ـ

حبيبي ...

ـ جبل ـ

فديت الشفاه التي
تصب الخلـود على مسمعي !

« يقبلها »

ـ سعاد ـ

تقبلـني ! إن خدّ الوساد
تململ في ليلنـا الممتع

— جميل —

أيروي جريح ، صريــع الظما
أكبَّ عياءً عــلى منبع !

هبي قلبي البكر طفل الحياة
تشبّث بالثدي من مرضـــع

تعالي ، أطلي عــلى عــالم
يعربــد في سكره الموجـع

« يتجهان نحو النافذة »

— سعاد —

أحنّ إلى مثــل تلك القصور
كستها الخمائــل أبهى حلــل

فكم مرّغ الفجر أجفانـــه
عليهــا ، ولم تتفتح مقــل

— جميل —

جمــالك أحرى بقصر منيف
اليه جنــاح الرؤى ما وصل

153

وفيمَ التمني ، وثغر النعـــيم
عـــلى مبسمينا نديّ القُبَلْ

ــ سعاد ــ

أتسمع ؟ من يا ترى قـــادمٌ
« يدخل نزار »

ــ جميل ــ

نزار ؟

ــ نزار ــ

أجـــلْ يا رفيقَ الصغرْ

سعـــاد !

ــ جميل ــ

لقد تاب عن بغيـــه
زمـــاني وردّ المنى ، واعتذر

ــ نزار بألم ــ

لتجرِ ليـــاليكما كلها !
مضمخـــة بالأمـــاني الغرر

فما العمر إلا التفات الرضى
إلى ما رمى خلفه من أثر

ـ جبل مداعباً ـ

وأنت نزار ! ألا لهفة
لديك إلى الموعد المنتظر

وفيمَ تلكأت عن زورتي ؟
أعن سلوة منك أم عن كبر

أهذا وفاؤك ـ

ـ سعاد ـ

عفواً نزار ،

« تذهب »

ـ جبل يتم ـ

أما زلتَ خدن الهوى والسَّمر

تناسيت عهداً سخيّ اليدين
ندي الظلال ، شهيّ الصور .

تجـدد في كل يوم هواك
وتقطف من حيث شئت الثمر

كطير لعوب ، سريع الجناح
فما قرّ في الدوح حتى نفر

ـ نزار ـ

رويدك ، لا تنكأنّ الجراح
على ذكريات رؤىً هجّدِ

لقد نفض اللهو مني يديه
فلن نتلاقى على مورد !

ـ جميل ـ

لك الخير ، كيف حمدت السرى
وليلك ما نمّ عن فرقد

فأي هوىً باركته السماء
سريت على وحيه تهتدي

أأعرفه ؟ أم أنا واهمٌ
حسبتك تخلع ما ترتدي !

« تدخل سعاد بطبق من السكر »

ـ سعــاد ـ

أأبطـــأت ؟

ـ نزار ـ

أخجلتنـا يا سعاد

وأعطيتنـــا فوق مـا نجتدي !

«يتناول هو وجميل قطعة»

نزار ، هنـا سـلوتي كلما

عـــثرتُ بأحـلامي الشرَّدِ

« يشير إلى سعاد فتقع عينه على طرف ردائها الممزق »

ولو أستطيع خلعتُ الضيــاء

وشاحاً عــلى قدّها الأمـلدِ

ـ سعاد خجلى ـ

تحملـني العطفَ حــتى أنوءَ

بـــه يا جميل ، فــلا تزدد

155

« تخرج راكضة »

ــ جميل لنفسه ــ

ألا يا متـــاع الحياة الرخيص
أتبسم لليوم أم للغـــد

أخـــا الودّ ، إني على موعـد
فصلنـــا نصالك بلا موعـــد !

« يحمل جميل أحد ألواحه ويخرج مع نزار »
تدخل سعاد مضطربة »

ــ سعاد ــ

كـأني أراه وفي مقلتيـــه
بريق من الغـيرة العاتيـــه

أعـــاد ليبشر من أمســـه
صحـــائف أهوائه الماضيـــه

أهاجته ذكراي ؟ أم رفرفت
عليه طيوف الهوى الداميـه

تفيض يداه بذوب اللجين
إذا ظمئت نفسه الطاغيه !

« يدخل نزار »

أراك رجعت

– نزار –

دعاني الهوى
وأيقظ آلاميَ الغافيه

– سعاد –

وزوجي !

– نزار –

دعينا ...

– سعاد مقاطعة –

احترم شعلة
أضاءت على روحي الداجية
أهنت الصداقة ...

156

ـ نزار ـ

لا تجرحي
ضمـــير المروءة يا قاسيـــه !

ـ سعاد ـ

أتذكر ماضيك ؟..

ـ نزار ـ

كفنتـــه
وواريتـــه حفرة نائيـــه !...

ـ سعـــاد ـ

وهمس الوعود عـــلى مسمعي

ـ نزار ـ

أكفر عنـــه بعبراتيـــه !

لقد هزني منك هـــذا الجمال
مهينـــاً بأسمـــاله الباليـــه

ألا تبصرين الصبـــايا المـــلاح
ورقـــة أبرادهـــا الزاهيه ؟

ألا تحزنين على زنبق
يحيط بـه الشوك في الآنيه ؟!

ـ سعاد بارتباك ـ

نزار ...

ـ نزار ـ

لعينيك ما في يدي
فـلا تحبسي القبلة الشافيـه

« يريها خاتماً »

ـ سعاد مترددة ـ

ولكنّ زوجي ...

ـ نزار مقاطعاً ـ

له الجدولُ
السموح ولي جرعـة صافيه
ولا أرتجي غـيرها قبـلةً
ولو غضبت نفسيَ الظاميـه

ـ سعاد لنفسها ـ

أأمنحه قبلةً من فمي
وأدفن تذكارها في العَدَمْ

ـ سعاد لنزار ـ

نزار أخاف جنون الشباب
وأخشى أنوء بعبء الألم

ـ نزار ـ

لعمركِ، ما رمت ما يجرح
المروءة أو يستفزّ الندم

أريد أقبّل هذا الذي
يطهّر روحي ويجلو السقم

ويسكب في جانبيّ الهدى
ويرفع عن مقلتيّ الظلم

ـ سعاد ـ

أتقسم أن لن تعود إليّ

ـ نزار ـ

وعينيك ، هل فوق هـــذا قسم ؟

ـ سعـــاد ـ

تقبلـني !...

ـ نزار ـ

مثلمـــا قبّـــلت
شفاهُ الحجيج جـــدار الحرم

« يعانقها ويدخل جميل وفي يده حقيبة صغيرة »

ـ جميل بذهول ـ

تبسمْ عـــلى الجرح يا خافقي
فقـد وثب السهم من قوسـهِ !

« نزار وسعاد يفترقان ـ يسقط الخاتم على الارض »

ـ سعاد بذهول ـ

جميـــل !

ـ نزار ـ

جميـــل !

158

ـ جميل باسماً ـ

ألا رقصةٌ

على مأتم الحب أو عرسه

ـ جميل لنزار ـ

تراه خفوقاً على رجسه

أراه صريعاً على قدسه

ضع الزهر غضاً على مهده

وإن شئت ضعه على رمسه !..

ـ سعاد ـ

جميل حنانك ...

« ترتمي عليه ونزار مطرق »

ـ جميل بخبث ـ

يا نعمةً

أحبَّ إلى المرء من نفسه

ألست عزائي إذا ما تألّب

بؤس الزمان على أنسه

— سعـاد —

إلمي !

« تخرج بذهول »

— جيل لنفسه —

أيبكي امرؤ بومـه
اذا غرس البغي في أمسـه

« نزار يهم بالخروج »

نزار ؟ إلى أين يا صاحبي
أطير تململ في حبسه !

علام الذهول ؟

— نزار —

ألا خلّه
يمزق روحي على ضرسه !

— جيل بخبث —

ألستَ صديقي وهل بيننا
حجابٌ تخاف أذى لمسه ؟

١٥٠٩

ومــاذا يضر الكريمَ الوفيّ
اذا شرب الصحبُ من كأسه ؟

ـنزار بصوت وحشيـ

كفى ، لا تزد ...

« يخرج مشدوهاً »

ـجميل بمضضـ

يا اصرح المنى
أيقلعه الغــدر من أســه ؟!.

« يرى الخاتم على الأرض فيأخذه »

أفــاعي الحيـاة ألا مزّقي
صـدور الخنان ولا تنـدمي !

وصُـبي لعـابك في طعنـة
تــئن اشتياقــاً إلى بلسم

فعن كل نابٍ تفيض الرّقى
وتـــذهب بالألم المفعـم

فسبي على غيرتي إنها

تولول في أفقها المظلم !..

« يناجي الخاتم »

هو الثمن البخس ، ردّ الهوى

ذبيحاً ألى قلبي المضرم !..

أخاتم ! إني أرى مبسماً

على شفتيه بقايا الدم !

وألمح أشباح بغي الورى

تموّجُ في ماسك الأقتم

خيال الضحية يبكي عليك

ويشتم فيك فمَ المجرم !..

وما لفتة منك في خنصري

بأهون من عضة الأرقم !..

« يلتفت يمنة ويسرة وينادي »

سعاد ! سعاد ! ألا تسمعين !

لقد بحّ صوتي وجن النداء

160

« تدخل سعاد باكية »

أتبكين ؟ والمفتي للعيون

يكثر أجفانهن البكاء !

دعيني أشرب هذي الدموع

تموج عليها طيوف الوفاء !!.

« يقبلها وهي تبكي »

كفى يا سعاد

ـ سعاد ـ

جميل اتئد

وردّ بعفوك بعض العزاء

لقد ضقت ذرعاً بوخز الندامة

ـ جميل بمكر ـ

شُلت يداها !!

ـ سعاد ـ

، كفاك ازدراء !

خذِ القلبَ وامضغه يا قاتلي

بهذا التهكم والاجتراء !

ـ جميل بخبث ـ

معاذ الهوى ، كيف أقسو عليك

وأقسو عـــلى كبرياء الوفاء ؟!

« ترى الخاتم في خنصر جميل »

ـ سعـــاد ـ

ألهي ؟ أخاتمـــه

« تقعد على المقعد خائرة »

ـ جميل بخبث ـ

إنهضـــي

ولا تتركيني خـدين الشقـاء !

ففي جبهتي أنتِ انتِ الخيـال

وفي مقلتي أنتِ أنتِ الضيـاء !

ولولاك كنت طريد الحيـاة

أجوب السراب سليب الرجاء !

ـ سعاد بتوسل ـ

جميل !..

161

ـ جميل ـ

مريني بما تغبين
ولا تطربيني بهذا الجفاء !

« يفتح الحقيبة ويخرج رداء منها »

سعاد ابسمي !

ـ سعاد بسكون ـ

ما أرى يا جميل ؟

ـ جميل ـ

رداء تحنّ اليه النساء !

لقد نسجته يدا فتنة
على قدك الغض

« يحرك الخاتم بخنصره »

ـ سعاد ـ

يا للسماء !

ـ جيل يتمم ـ

عصارةُ فكري لقد بعتهـا
وجئت إليـك بهذا الرداء

« يحرك الخاتم بخنصره »

ـ سعاد باضطراب ـ . . . .

جحيم الحياة !

« تنهض بجنون »

ـ جيـل بسكون ـ

جرى سمها
يعيث باحنائها كيف شاء . . .

« ترمي سعاد بنفسها من النافذة ، جيل يضحك
ضحكة وحشية ثم يجلس بسكون
أمام صورة فتاته ويبدأ باتمامها »

« الستار »

١٩٣٥

النور

النور أتعبَ مقلتي
ونفّرَ الاحلام عني

عصفتْ يداه بالظلال
وبالجلال المطمئن

فاذا الحياةُ ، تلفّتتْ
عريان ، مجروح التمني .

***

ألنـــور أدمى مقلـــتيّ
وما شفى وهمي وظني

كم مــدّ لي سُبلاً لأقطفَ
من خمائلهــا وأجــني

فقطعتهـــا تعِبَ الخُـــطى
ولكم عثرتُ ، ولم تُقلـــني

***

النـــور أعمى مقلـــتيّ ،
فيا ظلامَ الكون قدني

رفقاً ، فاني بت أخشـــى
أن تهدّ يداك ركني

مـــا زال بي شوقٌ إلى
الدنيا ، فــلا تأخذه مـــني !

١٩٣٦

163

فهرست

•

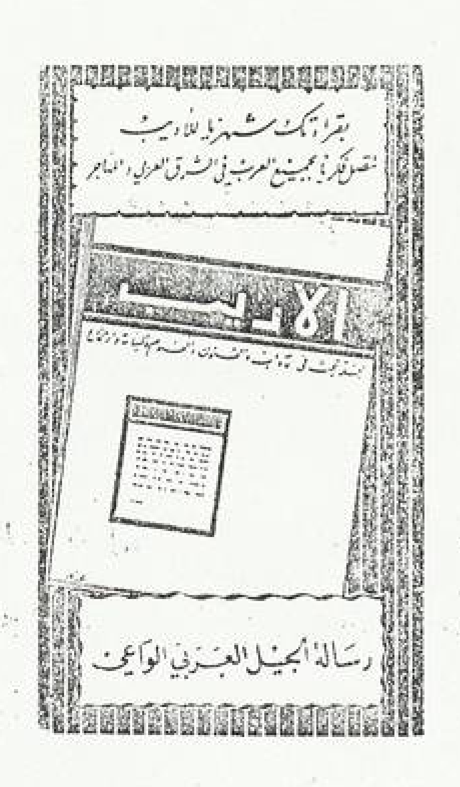
تم طبع هذه المجموعة في مطبعة الكشاف ببيروت يوم
الاربعاء الخامس عشر من الشهر تشرين الاول عام
الف وتسعماية وسبعة واربعين، ٣١٥٠ نسخة
على ورق عادي، ١٠٠ نسخة على ورق
«هولزفراي» وبقطع كبير مرقة من ١
الى ١٠٠، ٢٥ نسخة على ورق
« رجيستر » وبقطع كبير
خاصة بالمؤلف.

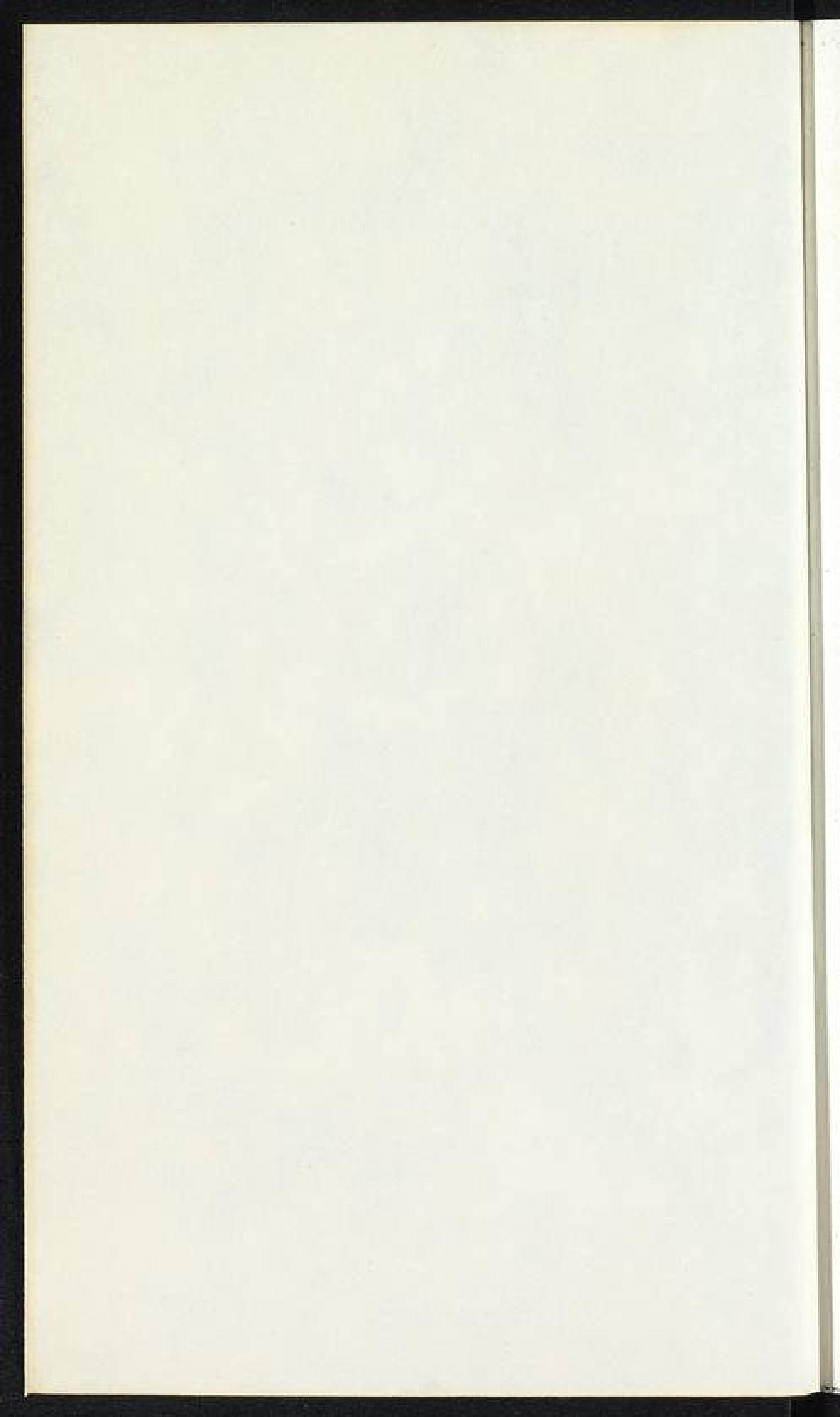
165

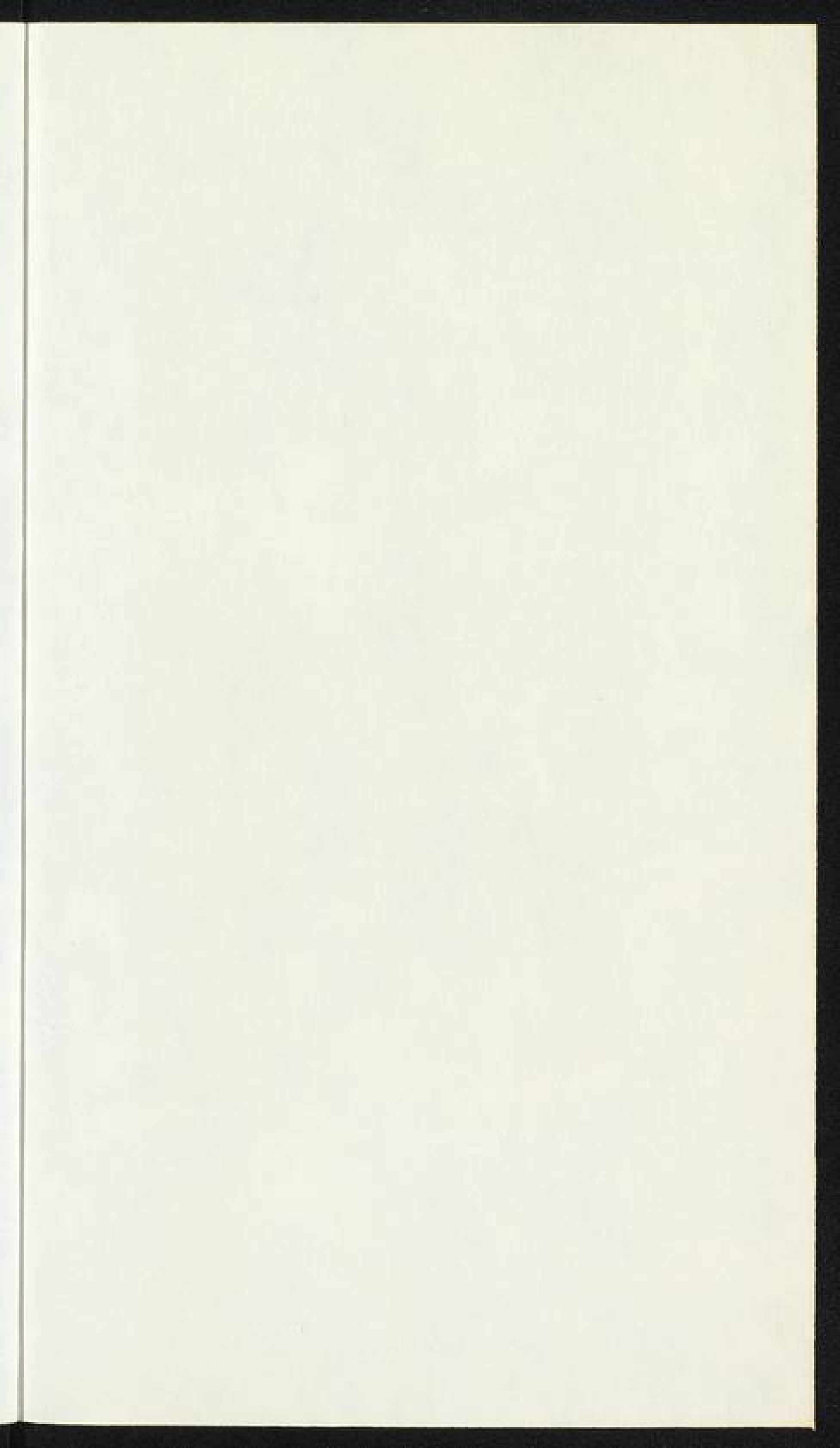
للمؤلف تحت الطبع

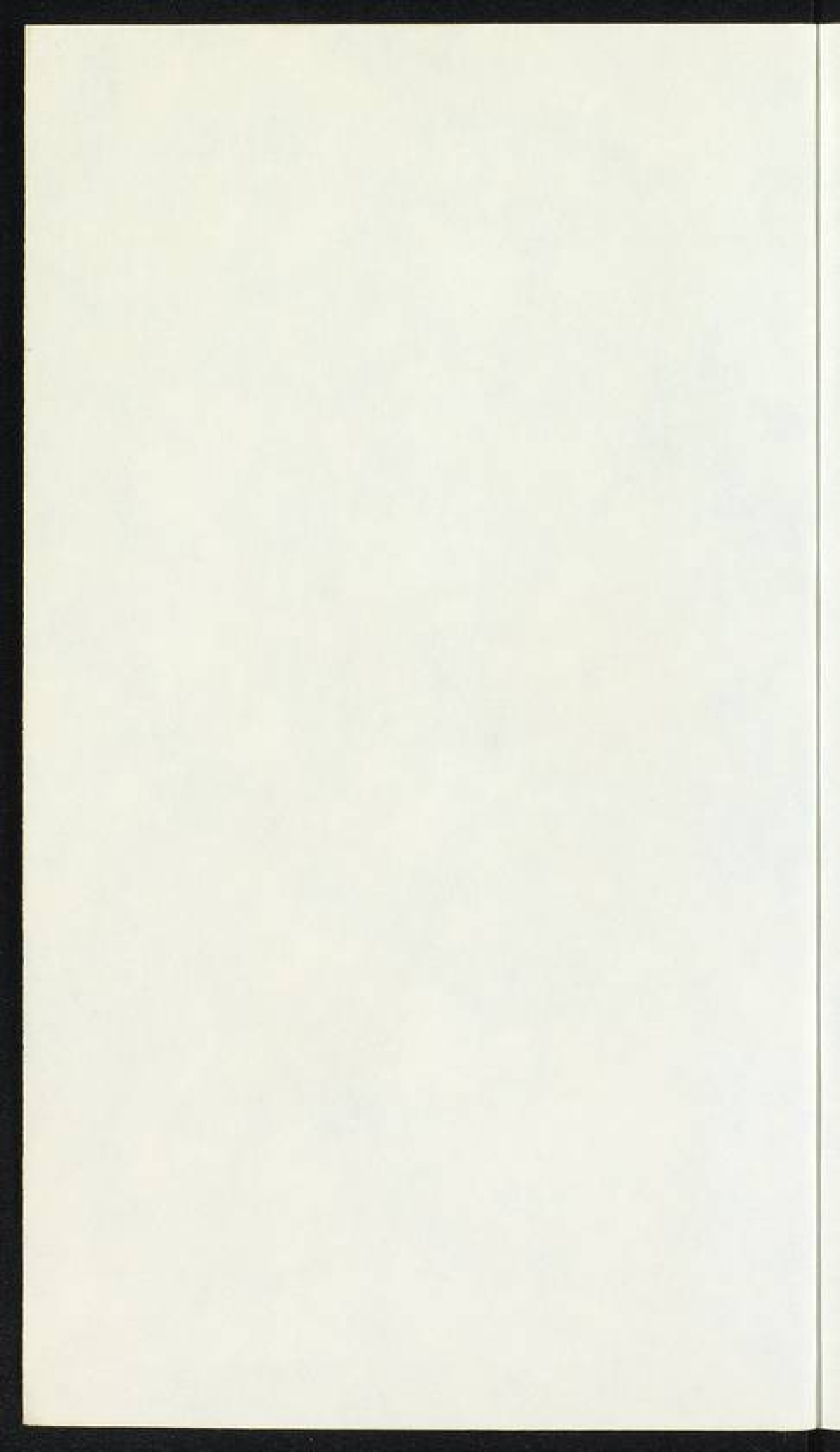
في منشورات دار مجلة الاديب

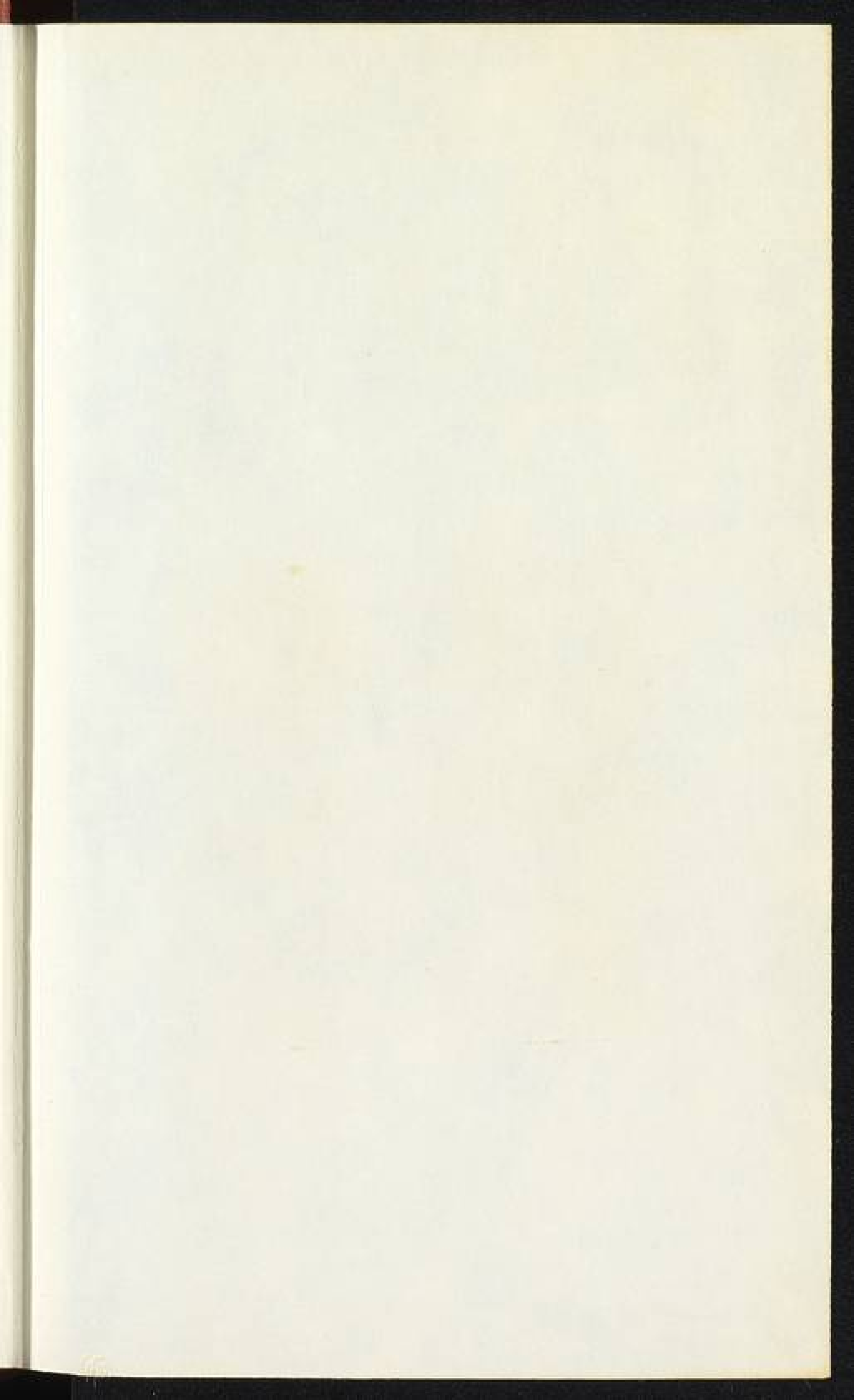
الحسين بن علي	مسرحية شعرية
سميراميس	مسرحية شعرية


تصل فكريا بجميع العرب في الشرق العربي والمهاجر
الأديب
رسالة الجيل العربي الواعي










Princeton University Library
32101 073834432